محمود شلبي

حياة آسية امرأة فرعون

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذينَ آمَنُوا امرَأتَ فِرْعَوْنَ إذْ قالتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ .. ﴾

« قرآن كريم »

دار الجيل
بيروت

الطبعة الثانية
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الإهداء

اللهم ... منك ... وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله تعالى .. عدد حمد الحامدين ..

وأصلي وأسلم .. على نبيه الكريم .. عدد خلْقه .. وبعد .. آسية ؟!

لماذا اختارها الله تعالى .. من دون النساء المؤمنات .. إلى يوم القيامة .. فاثنى عليها .. ووضعها جنباً إلى جنب .. أفضل نساء العالمين .. مريم ابنة عمران ؟!

فكَّرت مليّاً .. فتبين لي أن السرّ في ذلك .. أنها انفردت بخصيصة فريدة ..

إنها كانت ملكة .. ذات عرش عظيم .. تجلس على عرشها إلى جوار زوجها.. أعظم ملوك عصره .. فرعون الجبَّار ..

ملكة مقدسة .. جميلة عصرها .. تحت قدميها كل ما يتصور من الأبهة والزينة .. لكنها ضحَّت بكل ذلك .. وتحدّت فرعون ..

المعبود الرهيب !!

وشقّت اجماع الملايين .. وهتفت في وجه فرعون القبيح ..

لا إله إلا الله !!

فانقلبت من حضرة صاحبة الجلالة المقدسة .. الملكة آسية ..

حرم صاحب الجلالة المقدس .. فرعون العظيم ..

إلى امرأة منبوذة .. القاها اللعين أرضاً ..

ووتد يديها بالمسامير الغلاظ .. وقدميها بمثل ذلك ..

فما تراجعت .. وما لانت .. ولا وهنت ..

ولكن ازدادت إيماناً بربها .. وازدادت احتقاراً لفرعون ..

فلما يئس اللعين ، من عودتها ، أمر زبانيته ، فقتلوها أبشع قتلة !

من هنا ، صارت من الخالدين ..

لأن تضحيتها عظيمة !!

وتعذيبها أعظم !!

وإيمانها أكبر !!

سلام على آسية .. إنها مثال يندر وجوده في النساء !

١٤٠٧ هـ
١٩٨٧ م

محمود شلبي

قال ..

تعـــالى ..؟!

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ

﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ

﴿ لَا تَقْتُلُوهُ

﴿ عَسَى أَن يَنفَعَنَا

﴿ أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . ﴾

[القصص ٩]

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا
﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ
﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ
﴿ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ
﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ
﴿ وَعَمَلِهِ
﴿ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[التحريم ١١]

قال ..

رسولُ اللهِ ..

صلى الله عليه وسلم ..؟!

عن أبي موسى الاشعريّ .. رضي الله عنه .. قال :

« قال رسولُ اللهِ .. صلى الله عليه وسلم :

« كَمَلَ مِنَ الرِّجَال كثيرٌ

« ولَمْ يَكمُلْ مِنَ النِّساءِ

« إلاّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ

« وآسِيَةُ امْرَأةُ فِرْعَوْنَ

« وَفَضْلُ عائشَةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سائرِ الطَّعَامِ . »

[أخرجه البخاري في صحيحه]

عن أبي موسى قـال :

« قال رسولُ .. اللهِ ﷺ :

« كملَ مِنَ الرِّجَالِ كثيرٌ

« ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النساءِ

« غيرُ مَرْيَمَ بِنتِ عِمْرَانَ

« وآسِيَةَ امْرَأةِ فِرْعَوْنَ

« وَإنَّ فَضْلَ عائشَةَ على النِّساءِ كفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلى سائِرِ الطَّعَامِ . »

[أخرجه مسلم في صحيحه]

« هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء ..

« ونبوة آسية ومريم ..

« والجمهور على أنهما ليستا نبيتين ..

« بل هما صديقتان ، ووليتان ، من أولياء الله تعالى ..

« ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه ..

والمراد هنا التناهي في جميع الفضائل ، وخصال البر والتقوى ..

« وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام — قال العلماء : والمراد بالفضيلة نفعه والشبع منه وسهولة مساغه ، والالتذاذ به ، وتيسر تناوله ، وتمكن الانسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك . وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة ، وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية .. لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة . »

عن أنسٍ .. رضيَ اللهُ عنه ..

« أنّ النبي .. ﷺ .. قال :

« حَسْبُكَ مِن نساءِ العالَمينَ ..

« مَرْيَمُ ابنَةُ عِمْرانَ

« وخَديجَةُ بِنتُ خُوَيْلدٍ

« وفاطِمَةُ بِنتُ مُحمّدٍ

« وآسِيَةُ امرأةُ فِرْعَوْنَ . »

[أخرجه الترمذي .. وقال :
هذا حديث صحيح]

عن ابن عباس قـــال :

« خط رسول الله .. عليه الصلاة والسلام ، في الأرض أربعة خطوط ..

« فقال : أتدرون ما هذا ؟

« قالوا : الله ورسوله أعـــلم

فقـــال رسول الله ، ﷺ :

« أفضل نساء أهل الجنة

« خديجة بنت خويلد

« وفاطمة بنت محمد

« ومريم بنت عمران

« وآسِيَة بنت مزاحم امرأة فرعون . »

[رواه النسائي .. وابو يعلى ..
وابن عساكر]

ورُوي ان ابن عباس قال :

« قال رسول الله .. ﷺ :

« سيدة نساء أهل الجنة

« مريم بنت عمران

« ثم فاطمة

« ثم خديجة

« ثم آسية امرأة فرعون . »

[رواه ابن عساكر]

أعظم ..

ملكة ..

في عصرها ؟!

كلمــــا

كانت التضحية أعظم ، كانت الدرجة عند الله أعظم ..

وهـذه ، موضوع هـذا الكتاب ، كانت أعظم ملكة في عصرهـا ..

واعني بها « آسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون ..

كان يمكنها أن تظل على عرشها ، ملكة مقـدسة ، يسجد تحت أقدامها الدهـــاقين ، وكبار رجالات الدولة ..

ويُؤتى اليها بصحاف الذهب والفضة ، ويطاف عليها بكؤوس الخمر ..

وتتراقص بين يديها جميلات الجواري ، وعـــازفات الأنغام ..

كيف لا .. وهي زوجـة فرعون .. الملك ، الإله ، المقدس .. إلى آخر هذه السلسلة من الألقاب التي ينسجونهـــا ؟!

نعم .. كل لذاذات النعيم مبثوثة أمامها ..

مـــا عليها إلا أن تشير بيديها ، فإذا مئات من الجواري يتسارعن إلى تلبية ندائهـا ..

لكن آسية ، كانت شيئاً آخر ..

نعم .. هي ملكة ، تجلس على أعظم عرش في زمانها .

فإن زوجهـا كان يجلس على عرش الدولة الأعظم في عصره ، عرش الفراعنة العظام الفخام ..

ولكن الإيمان إذا دخل قلباً ، أحدث انقلاباً خطيراً في مفاهيم صاحبـه ..

ورفع الغشاوة التي كانت على عينيه ، وجعله يبصر مـــا لم يكن يره !!

فاصبح العرش الذي تجلس عليه ، عرشاً من جماجم المعذبين .. ودمـــاء المحرومين !!

وأصبح زوجهـا المعظم المعبود ، أفـّاكاً ، كذّابـاً ، مجرمـاً أثيمـاً !!

وصار في نظرها كلباً مسعوراً ، ينهش عظام المستضعفين !!

ورأت هؤلاء المنافقين من حوله ، أمثال هامان وقارون ،

مجرد عرائس يُرقّصها المسعور كيف يشاء !!

وجعلت تفكر مليّاً .. ما لهؤلاء الملايين من الشعب المسكين، قد أسلموا قيادهم إلى زوجها اللعين، يعبث بهم كيف يشاء ؟!

أيعقل أن رجلاً واحداً .. هو هذا الفرعون .. يفعل بهم ما يشاء، وهم كالحمير المرصوصة، لا يرفعون أمامه صوتاً .. ولا ينهقون !

فاشتد احتقارها لزوجها، وأسرّت في نفسها أمراً !!

أنّ الشعوب تضيع .. حين تُسلم قيادها طوعاً أو كرها، إلى رجل مجرم.

إنه ما يزال بهم، يسوقهم إلى ما يشاء منهم، حتى يعبدوه ..

والانسان .. كل انسان، في أعماقه وحش كاسر، إذا لم يجد من يرده عن وحشيته .. انطلق يعربد ويفجر ويملأ الأرض طغياناً وكفراً.

وها هو زوجها ينطلق من أعماقه ذلك الوحش فينادي فيهم :

﴿ أنا ربكُمُ الأعلى ﴾ !!

وهتفت آسية في نفسها .. كلا .. بل ربي الله ، الذي خلقني ، ليس هذا الكذاب الأثيم ..

وخاضت آسية ، صراعاً نفسياً رهيباً ..

كيف تقاوم ملكاً مطلقاً ، إذا قال فعل ؟!

كيف توائم بين ما تعتقد .. وبين أوضاعها كملكة ، وزوجة لهذا الدعيّ ؟!

وعاشت صراعاً جبّاراً هدّاراً ..

آناً تخفي إيمانها ، وآناً تتلولب به ، إلى حين ..

حتى كانت اللحظة التي ، أعلنت فيه عن إيمانها بربها ..

وصب عليها زوجها ، أفظع ما يصب على امرأة من عذاب ..

فاستشهدت !!

وآثرت إيمانها !!

ونزلت، طوعاً عن عرشها . إلى ساحة عذابها !

من هنا ، من عظيم تضحيتها في سبيل الله ..

رفعها الله عنده مقاماً سنيّاً ..

فكانت إحدى خالدات أربع :

• مريم بنت عمران ..

• ثم فاطمة ..

• ثم خديجة ..

• ثم آسية امرأة فرعون .

خمس ..

السلطة ..؟!

هناك

كاس من الخمر ..

من شرب منها قطرة ، أسكرته سُكراً لا يفيق منه أبداً ..

هذه الكاس ، هي كاس الحُكم ..

من لم يذقها لا يعلم عنها شيئاً ..

ومن ذاقها ، لم يُطق عنها صبراً ..

وأعني بها تلك الكاس الملعونة ، كاس الحُكم !!

والتاريخ كله من اوله إلى آخره ، عبارة عن صراع دائم بين رجل شرب من هذه الكاس ..

وشعب لم يشرب منها شيئاً ..

أو بين حاكم مخمور بخمر الحُكم .. وشعب لم تسكره خمرة الحُكم ..

فلماذا كان هـذا ؟!

أقول لك في صراحة رهيبة :

فكّر معي : لماذا وردت قصة فرعون وموسى مرات عـديدة في القرآن العظيم ، اجمالاً وتفصيلاً ؟!

لأنها القصة التي تحكي تصرفـات الحـاكم الحريص على مُلكه ، المصرّ على كرسيه ، المستبيح لكل شيء في سبيل عرشه ..

وبين نبي الله .. موسى .. الذي يدعوه إلى ربه ، وإلى اطلاق شعب مستعبد من العبودية ..

وأبى فرعون ، ورفض جميع ما دعاه اليه موسى .. فلمـــاذا !

لأن فرعون شرب من كاس الحكم ، فاسكرته تلك الخمر ، فجعل يهذي ، ولا يعي شيئاً مما يُدعى اليـه ..

فالقضية عنده ليست قضية حق وباطل ، وإنمـا قضية : هل يبقى على كرسيه أم يزول !

إذاً فليُقتل موسى ، ومَن تابع موسى ، ومَن شايع موسى من قريب أو بعيـــد ..

وليبق هو وحده على كرسيه ، ولو ذهب الجميع !!

فعل هذا فرعون ، واكثر من هذا ..

وسجّل القرآن العظيم كل هذا ..

فلماذا هذا العناد والاصرار من فرعون على إبادة موسى ومن معــــه ومن شايعه !؟

لسبب واحد ، هو الكرسيّ !!

يزعم موسى أن له إلهاً أرسله ، فليكن فرعون إلهاً ، وليُحرم على الناس أن يتخذوا إلهــــاً غيره !!

وسجّل القرآن العجيب هذا :

﴿ لئنِ اتخَذْتَ إلهاً غيري لأجعلنّكَ من المسجونين . ﴾ !!

ويزعم موسى أنّ ربّ الناس هو الذي أعطى كل شيء خَلْقه ثم هَدَى ..

فليكن أنا الرب الأعلى .. ونادى فيهم ﴿ أنا ربُّكُمُ الأعلى ﴾ !!

وهؤلاء الشباب سوف يستهويهم نداء موسى .. وينصتون ..

فليُقتلوا رُضّعاً قبل ان يشبُّوا ..

وليُذبحوا اجمعين !!

وأصدر أوامره القـاتلة ، بذبح كل مولود ذكر يولد في بني إسرائيل !!

وهؤلاء العلمـــاء .. استولت على عقولهم ، وقهرتهم معجزة

عصا موسى .. حين التهمت عصيّهم وحبالهم أجمعين ، فخرّوا سُجّداً .. قالوا :

آمنّا بربِّ العالمين ..

إذاً .. فليُقتلوا اجمعين !!

وامر فصُلبوا على جذوع النخل .. اثني عشر الفاً .. هم صفوة علماء البلاد !!

وامرأته .. تلك الملكة الجميلة .. التي يحبها حبا شديداً ..

بهرتها المعجزة .. معجزة يوم الزينة .. حين خر السحرة ساجدين ..

فآمنت برب موسى !!

فلتُقتل هي الأخرى .. شرّ القتل .. ولتشهد عذاباً لم تشهده امرأة في العالمين !!

ويزعم موسى أن إلهه في السماء ، فليَصدُر الأمر إلى هامان :

﴿ يا هامانُ ابنِ لي صرحاً لعليّ ابلُغُ الاسبابَ . اسبابَ السماواتِ فأطّلِع الى إلهِ موسى .. ﴾ !!

جنون ، خبال ، شيء محال !!

كلا .. بل شرب المـذكور من الكاس ..

فـاسكرته الخمر الملعونـة ..

والسكران يفعل كل شيء ، ويرتكب كل الآثام !!

واذكر في هذا الاشارة المكنونة في الحديث :

« الخمرُ أمُّ الخبائث » !!

ولا خمرَ هي أشدُّ من خمر الحُكم !!

ماذا أريد ان اقول ؟!!

أريد ان أنبِّه الغافلين إلى حقيقة تغيب عن الأكثرين ..

أنَّ الحـاكم . أيّـاً كان مسماه . امبراطوراً ، مَلِكـاً ، رئيس جمهورية ، خليفة ، أميراً ..

سمِّه مـــا شئتَ ، فاختلاف المسمَّى لا يغير من القضية شيئـــاً ..

رأس الدولة ، حين يسمع صراخ الحقّ ، يفزعـه هذا الصراخ فزعاً شديداً .

ويحس لفوره باهتزاز الكرسي من تحته ..

وباللاشعور يندفع إلى مضادة هـذا الصراخ ..

وُيحرّك جميع الطاقات التي تاتمر بامره ، لاسكات هـذا الصوت !!

صنع هذا النمروذ .. مع إبراهيم ..

وأصدر ُحكماً بإعدامه َحرْقـاً !!

وصنع هذا ، هذا اللعين ، فرعون .. وأصدر ُحكماً بقتل موسى :

﴿ ذرُوني اقتُلْ موسى ﴾ !!

وصنع هذا أبو جهل .. فرعون هذه الأمة ، حين دبر لقتل محمد .. صلى الله عليه وسلم .. يوم الهجرة ، فيتفرق دمه في القبائل !!

لماذا ؟! إنه الكرسيّ .. إنه العرش ، إنه الكأس ، كأس الحُكم !!

وتغيب هذه الحقيقة .. حقيقة ان الحاكم الفَرْد عدو لكل دعوة حقّ ، عن الدعاة إلى الله وأتباعهم .. ويقفون حيارى يعجبون : ما لهؤلاء يضادون دعوة الله ، وما تدعو إلا إلى الخير والجمال !

كلا .. يا أغبياء ، ليس ما تدعون اليه خيراً بالنسبة إلى الحاكم بل هو في تقديره شراً مستطيراً ..

إنه يريد أن يكون مطلق اليد ، يفعل ما يشاء ، ولا معقب لحُـكمه ..

وتريدون ان تقولوا له : قف عند حدود الله لا تعتديها ..

إذن هي حدٌ من حريته !!

هو يريد ان يقيم السهرات .. وتتمايس بين يديه الجميلات ..

وتقولون له : هذا حرام ..

إذن .. فلتُسحقوا سَحقاً .. انتم وما تدعون اليه ..

تقولون : الحُكم شورى .. والشعب يختار من يرتضيه .

ومقتضى هذا أن يُسحب العرش من تحته .. ويُلقى هو مذموماً مخذولاً ..

لأن الشعب لن يختار عربيداً سكيراً !!

وهكذا ، يقف الحاكم المطلق ضدّاً ، لدعوة الحقّ ، من أول لحظـة ..

والموضوع عنـده ، ليس موضوع : هل هو على الحقّ أم على الباطل !

وإنما الموضوع ، فليسحق الحق ، وليسحق الباطل معاً ، إنمـا أريد ان أبقي أبداً على مُلكي ، لا ينازعني أحد أبداً ..

فما سرّ ذلك كله ؟

سرّه ، ان كرسي العرش ، واحد ، لا ثانيَ له ..

وهذا هو سرّ المأساة الدامية ، على مرّ التاريخ ..

هو كرسيّ واحد ، لا يجلس عليه إلا واحـد ..

وها هنا المأساة ..

فاي محاولة لمساس هذا الكرسي ، من قريب أو بعيد ، تعتبر الخيانة العظمى بالنسبة لصاحب هذا العرش ..

وتدفعه أن يفعل الأفاعيل بمن حاول تلك المحاولة ..

وكم من جماعات أبيدت لهذا السبب وحده ..

وكم من رؤوس قطعت لمجرد التفكير أو التدبير لتلك المحاولة ..

وقلّب ان شئت صفحات التاريخ ، وسوف تدهش لتكرار تلك الظاهرة على مر السنين .

ويجد الحاكم نفسه مضطراً أن يفعل ذلك .. فإما سكت عنهم فاستمكنوا منه فزحزحوه وجلسوا مكانه .. وإما فاجاهم هو واستاصلهم قبل أن يستاصلوه !

إن الحكم هو الفتنة الكبرى ..

وهو أشق وظيفة يُبتلى بها انسان على الاطلاق ..

له مقتضيات تُحتم على الحاكم احياناً أن يرتكب أشنع الموبقات ، حفاظاً على الكرسي ..

كل التاريخ ، ميمنته وميسرته ..

إيمانه ، وكفره ..

مشحون بتلك المقتضيات ..

ويفزع الحالمون العابدون الجاهلون ، الذين يظنون ، أن الايمان ورد وريحان ، من تلك الظواهر الحتمية ..

ولو لم يكونوا عراض القفا ، ما ظنوا تلك الظنون الحالمة ..

إنه الكرسي ، وويل لمن اقترب ..

ماذا أريد ان اقول !!

اريد ان اقول ان القرآن العظيم ، حين أفاض في قصة موسى وفرعون ..

انما يريد ان ينبه العقول ، إلى تلك الحقيقة الرهيبة ، من حقائق الحياة ..

أنّ الحاكم الدكتاتور لا يرحب بدعوة الحق ، لا لأنه لا يعتقد انها حق ، ولكن لأنها ليست في صالح بقائه على عرشه ..

فينتفض مضاداً لها ، مغروراً بما في يديه من سلطات البطش .

ظـانـاً في البداية أنه يستطيـع أن يطفئها قبـل أن تنتشر في النـاس ..

إلا ان الحاكم دائماً اعمى .. فهو لا يبصر إلا في حدود عرشه ..

وتمضي الاحداث .. وينتشر النور رغم انفه .

ويسقط الطاغية تحت اقدام اهل الحق ..

وهو يولول :

﴿ ما اغْنى عنّي مالِيَه . هَلَكَ عنّي سُلْطانِيَه . ﴾ !!

عندما هتفت الملكة ..

آسية ..

لا تقتلوه ..؟!

كانت

لحظة فاصلة ..

في حياة آسية ..

وفي حياة موسى ، عليه السلام ..

فمتى كانت تلك اللحظة ، وكيف كانت ؟!

قال تعالى :

﴿ إذْ تمشِي أختُكَ فتقُولُ هلْ أدُلُّكُم على مَن يَكفُلُهُ

﴿ فرَجَعْنَاكَ إلى أُمِّكَ كيْ تقرَّ عينُها ولا تحزَنَ

﴿ وقتَلْتَ نفْساً فنجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ

﴿ وفتَنَّاكَ فُتُونا .. ﴾

[طه ٤٠]

• قال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي - رحمه الله - في كتاب التفسير من سُننه .. قوله :

﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ ..

• (حديث الفُتون) ..

• حدثنا عبدالله بن محمد ..

• حدثنا يزيد بن هارون ..

• أنبأنا أصبغ بن زيد ..

• حدثنا القاسم بن أبي أيوب ..

• أخبرني سعيد بن جبير ..

• قال : سال عبدالله بن عباس ، عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام :

﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾

• فسألته عن الفُتُون ، ما هو ؟

• فقال : استأنف النهار يا ابن جبير ، فإن لها حديثاً طويلاً ..

• فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس ، لأنتجز منه ما وعدني

من حديث الفتون ..

« فقال : تذاكر فرعون وجلساؤه ، ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أبناء وملوكا ..

« فقال بعضهم : إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك ، لا يشكون فيه .. وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب .. فلما هلك قالوا : ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام ..

« فقال فرعون : كيف ترون ؟

« فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار ، يطوفون في بني اسرائيل ، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه !!

« ففعلوا ذلك ..

« فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ..

« والصغار يذبحون ..

« قال : ليوشكن أن تفنوا بني إسرائيل ، فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفونكم ..

« فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ..

« واتركوا بناتهم !!

« ودَعُوا عاماً ، فلا تقتلوا منهم أحداً ..

« فيشب الصغار ، مكان من يموت من الكبار .. فـــإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم .. فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولم يفنوا بمن تقتلون وتحتاجون اليهم ..

« فاجمعوا أمرهم على ذلك !!

« فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان ، فولدته علانية آمنة ..

« فلما كان من قابل ، حملت بموسى عليه السلام ..

« فوقع في قلبها الهم والحزن ..

« وذلك من الفُتون .. يا ابن جبير .. ما دخل عليه وهو في بطن أمه .. مما يراد به !!

« فأوحى الله اليها .. أن :

﴿ لا تَخَافِي ولا تَحْزَنِي .. إنّا رَادُّوهُ اليكِ .. وجاعِلوهُ من الْمرْسَلِينَ .. ﴾

« فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت .. ثم تلقيه في اليم !!

« فلما ولدت ، فعلت ذلك ..

« فلما توارى عنها ابنها .. أتاها الشيطان ، فقالت في نفسها : ما فعلت بابني ؟ لو ذُبح عندي فواريته وكفنته ، كان أحب إليّ

من أن القيه إلى دواب البحر وحيتـانه !!

« فانتهى الماء به ، حتى أوفى به عند فرضة مستقى جواري امرأة فرعون !!

« فلما رأينه أخذنه ..

« فاردن أن يفتحن التابوت ..

« فقال بعضهن : إن في هذا مالاً ، وإنا إن فتحناه لم تصدقنـا امرأة الملك ، بما وجدنا فيه ..

« فحملنه كهيئته .. لم يخرجن منه شيئـاً .. حتى دفعنه اليهـا ..

« فلما فتحته ، رأت فيه غلاماً !!

« فالقى الله عليه منها محبة لم يُلق منها على أحد قط !!

« وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً ، من ذكر كل شيء .. إلا من ذكر موسى !

« فلما سمع الذّباحون بـامره ..

« أقبلوا بشفارهم ، إلى امرأة فرعون .. ليذبحوه !

« **وذلك من الفُتون .. يا ابن جبير !!**

• فقالت لهم : أقروه ، فان هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، حتى آتي فرعون ، فاستوهبه منه ..

• فان وهبه لي ، كنتم قد أحسنتم وأجملتم ..

• وإن أمر بذبحه ، لم ألمكم ..

• فأتت فرعون ، فقالت : قرة عين لي ولك ..

• فقال فرعون : يكون لكِ ، فأما لي فلا حاجة لي فيه !!

• فقال رسول الله .. ﷺ :

« والذي يحلف به .. لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له .. كما أقرت امرأته .. لهداه الله كما هداها .. ولكن حرمه ذلك » ..

• فارسلت إلى من حولها .. إلى كل امرأة لها ، لأن تختار له ظئراً ..

• فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه .. لم يقبل على ثديها !

• حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن ، فيموت ..

• فأحزنها ذلك !

فأمرت به .. فأخرج إلى السوق .. وجمع الناس .. ترجو أن

تجد له ظئراً .. تأخذه منها .. فلم يقبل !

« وأصبحت أم موسى والها ..

« فقـــالت لأخته : قصي أثره .. واطلبيه .. هل تسمعين له ذكراً .. أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدواب ؟!

« ونسيت ما كان الله وعدها فيه ..

« فبصرت به أخته عن جُنُب وهم لا يشعرون ..

« ـ والجنب أن يسمو بصر الانسان إلى شيء بعيد وهو إلى جنبه وهو لا يشعر به ـ

« فقالت من الفرح .. حين أعياهم الظؤرات : أنا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ..

« فاخذوها .. فقالوا : ما يدريك ما نصحهم له .. هل تعرفينه ؟

« حتى شكوا في ذلك ..

« وذلك من الفُتون يا ابن جبير !!

« فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه .. رغبتهم في صهر الملك ورجـــاء منفعة الملك ..

« فتركوها .. فانطلقت إلى أمها فاخبرتها الخبر ..

« فجاءت أمّه .. فلما وضعته في حجرها .. نزا إلى ثديها ..

فمصّه حتى امتلأ جنباه ريّـا ..

• وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبشرونها .. أن قد وجدنا لابنك ظئراً ..

• فارسلت اليها ..

• فاتت بها وبه ..

• فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي ترضعي ابني هذا .. فـاني لم أحب شيئاً حبـه قط !!

• قالت ام موسى : لا استطيـع ان ادع بيتي وولدي فيضيـع .. فان طابت نفسك أن تعطينيه .. فأذهب به إلى بيتي .. فيكون معي .. لا آلوه خيراً .. فاني غير تاركة بيتي وولدي ..

• وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فيه .. فتعاسرت على امرأة فرعون !!

• وايقنت ان الله منجز وعده ..

• فرجعت به إلى بيتها من يومها !!

• وانبته الله نباتاً حسناً .. وحفظه لما قد قضى فيـه ..

• فلم يزل بنو إسرائيل وهم في ناحية القرية ممتنعين من السخرة والظلم مـا كان فيهم ..

« فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : ازيريني ابني ..

« فوعدتها يوماً .. تزيرها إياه فيه ..

« وقالت امرأة فرعون لخزانها .. وظؤرها .. وقهارمتها : لا يبقين احد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهدية وكرامة .. لأرى ذلك .. وانا باعثة اميناً يحصي ما يصنع كل إنسان منكم !!

« فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل .. تستقبله من حين خرج من بيت أمه .. إلى ان دخل على امرأة فرعون !!

« فلما دخل عليها .. بجلته .. واكرمته .. وفرحت به .. ونحَلت امه لحسن اثرها عليه ..

« ثم قالت : لآتين به فرعون .. فلينحلنه وليكرمنه ..

« فلما دخلت به عليه .. جعله في حجره ..

« فتناول موسى لحية فرعون .. فمدها إلى الأرض ..

« فقال الغواة .. من اعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه .. انه زعم ان يرثك .. ويعلوك .. ويصرعك ؟!

« فارسل إلى الذباحين ليذبحوه !!

« وذلك من الفُتون يا ابن جبير !! بعد كل بلاء ابتلى به !! وأريد به فُتونا !!

• فجاءت امرأة فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟!

• فقال : ألا ترينه يزعم انه يصرعني ويعلوني ؟!

• فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً .. يعرف الحقّ به .. ائت بجمرتين ولؤلؤتين .. فقدمهن اليه .. فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل . وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت ان احداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ..

• فقرب اليه الجمرتين واللؤلؤتين ..

• فتناول الجمرتين ..

• فانتزعهما منه مخافة ان يحرقا يده ..

• فقالت المرأة : الا ترى ؟!

• فصرفه الله عنه .. بعد ما كان قد همّ به .. وكان الله بالغاً فيه امره ..

• فلما بلغ اشده وكان من الرجال .. لم يكن احد من آل فرعون يخلص إلى احد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة .. حتى امتنعوا كل الامتناع ..

• فبينما موسى عليه السلام يمشي في ناحية المدينة .. إذا هو

برجلين يقتتلان .. احدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ..

• فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني ..

• فغضب موسى غضباً شديداً لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني اسرائيل وحفظه لهم .. لا يعلم الناس إلا إنما ذلك من الرضاع إلا أم موسى .. إلا ان يكون الله اطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ..

• فوكز موسى الفرعوني فقتله .. وليس يراهما احد إلا الله عز وجل والاسرائيلي .

• فقال موسى حين قتل الرجل : هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ..

• ثم قال

﴿ رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نفسي فاغْفِرْ لي فغَفَرَ له إنه هو الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

• فاصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار ..

• فأتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا رجلا من آل فرعون .. فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم ..

• فقال : ابغوني قاتله .. ومن يشهد عليه .. فان الملك وإن

كان صفوة مع قومه .. لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة ولا ثبت .. فاطلبوا لي علم ذلك .. آخذ لكم بحقكم ..

« فبينما هم يطوفون .. لا يجدون ثبتاً .. إذا بموسى من الغد قد رأى ذلك الاسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر ..

« فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ..

« فصادف موسى قد ندم على ما كان منه .. وكره الذي رأى ..

« فغضب الاسرائيلي .. وهو يريد ان يبطش بالفرعوني ..

« فقال للاسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم :

﴿ إنَّكَ لغَوِيٌّ مُبِينٌ .. ﴾

« فنظر الاسرائيلي إلى موسى .. بعدما قال له ما قال ..

« فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني ..

« فخاف ان يكون بعد ما قال له : إنك لغويٌّ مبين .. ان يكون إياه اراد ..

« ولم يكن اراده .. إنما اراد الفرعوني ..

« فخاف الاسرائيلي وقال : يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت

نفساً بالأمس ؟!

« وإنما قاله مخافة أن يكون إياه اراد موسى ليقتله ..

« فتتاركا ..

« وانطلق الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر .. حين قول يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ..

« فـــأرسل فرعون الذباحين .. ليقتلوا موسى ..

« فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم .. يمشون على هيئتهم يطلبون موسى .. وهم لا يخافون ان يفوتهم ..

(فجاء رجل من شيعة موسى من اقصى المدينة .. فـاختصر طريقاً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره ..

« **وذلك من الفتون يا ابن جبير !!**

(فخرج موسي متوجهاً نحو مدين .. لم يلق بلاء قبل دلك .. وليس له بالطريق علم .. إلا حسن ظنه بربه عز وجل ..

(فانه قال :

﴿ **عَسَى رَبِّي ان يهدِيَنِي سواءَ السبيل • ولمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَن وجدَ عليهِ أمةً من الناسِ يَسقُونَ ووجَدَ من دونِهمُ امرأتَين تذُودَانِ** ﴾ ..

(يعني بذلك حابستين غنمهما ..

(فقال لهما : ما خطبُكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس ؟

(قالتا : ليس لنا قوة نزاحم القوم .. إنما نَسقي من فضول حياضهم ..

(فسقى لهما .. فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً .. حتى كان أول الرعاء .

(فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما ..

(وانصرف موسى عليه السلام .. فـــاستظل بشجرة .. وقال :

﴿ ربّ اني لِما انزلْتَ اليّ من خيرٍ فقيرٌ ﴾ ..

(واستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلاً بطانا !.

(فقال : إن لكما اليوم لشأنا !

(فاخبرتاه بما صنع موسى ..

(فامر إحداهما أن تدعوه ..

(فأتت موسى .. فـدعته ..

(فلما كلّمه .. قـــال : لا تخف نجوتَ من القوم الظالمين ،

ليس لفرعون ولا لقومه علينــــا سلطـــان .. ولسنا في مملكته ..

فقالت إحداهمـــا :

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ ﴾ ..

« فاحتملته الغيرة على أن قال لهـــا : ما يدريكِ ما قوته وما أمانته ؟!

« فقالت : أمـــا قوته .. فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا .. لم أرَ رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه !. وأمـــا الأمانة .. فـــإنه نظر إليّ حين أقبلت اليه وشخصت له .. فلمـــا علم أني امرأة صوب رأسه .. فلم يرفعه حتى بلغته رسالتـــك .

« ثم قـــال لي : امشي خلفي .. وانعتي لي الطريق ..

« فلم يفعل هذا إلا وهو أمين ..

« فسرى عن أبيها وصدقها .. وظن به الذي قـــالت ..

« فقال له :

هل لك ﴿ ان أنكِحكَ إحدَى ابنَتيَّ هاتينِ .. على ان تأجُرَني ثماني حِجَجٍ .. فان أتممتَ عشْراً فمِن عندِك .. وما اريدُ أنْ اشُقّ عليْكَ .. ستجِــدُني إن شاءَ اللهُ منَ الصالحينَ .. ﴾

« ففعـــل ..

« فكانت على نبيّ الله موسى ثمان سنين واجبة ..

« وكانت سنتان عــدة منه ..

« فقضى الله عنه عدته .. فأتمها عشراً ..

« ـ قـال سعيد ـ وهو ابن جبير ـ : فلقيني رجـل من اهل النصرانية من علمـائهم قال : هل تدري اي الأجلـين قضى موسى ؟.

« قلت : لا ـ وأنا يومئـذ لا أدري ـ

« فلقيت ابن عباس .. فذكرت له ذلك ..

« فقال : أما علمت أن ثمانياً كانت على نبيّ الله واجبة .. لم يكن نبي الله لينقص منها شيئاً .. ويعلم ان الله كان قاضيـاً عن موسى عدته التي كان وعده .. فإنه قضى عشر سنين ..

« فلقيت النصراني فأخبرته ذلك .. فقال : الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ..

« قلت : أجل وأولى ـ

« فلما سار موسى بأهله .. كان من أمر النـــار والعصا ويده .. ما قصّ الله عليك في القرآن ..

« فشكا إلى الله تعالى مـا يحذر من آل فرعون .. في القتيــل وعقدة لسانه .. فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثـــير من الكــلام ..

« وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون .. يكون له ردْءا . ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ..

« فآتاه الله سؤله .. وحل عقدة من لسانه ..

« وأوحى الله إلى هـارون .. وأمره أن يلقاه ..

« فاندفع موسي بعصاه حتى لقي هارون عليه السلام ..

« فانطلقـــا جميعاً إلى فرعون ..

« فأقاما على بابه .. حيناً لا يؤذن لهما ..

« ثم أذن لهما .. بعد حجـــاب شديد ..

« فقالا :

﴿ إنـّا رسُولا ربِّكَ ﴾ .

• قال : فمَن ربُّكما ؟

• فاخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن ..

• قال : فما تريدان ؟.

• فاعتذر بما قد سمعت ..

• قال : أريد ان تؤمن بالله .. وترسل معنا بني إسرائيل ؟.

• فأبى عليه ..

• وقال : ائت بآية إن كنت من الصادقين ..

• فألقى عصاه .. فإذا هي حية تسعى عظيمة .. فاغرة فاها .. مسرعة إلى فرعون ..

• فلما رآها فرعون قاصدة اليه .. خافها !!

• فاقتحم عن سريره !!

• واستغاث بموسى .. ان يكفها عنه !!

• ففعل ..

• ثم أخرج يده من جيبه .. فرآها بيضاء من غير سوء — يعني من غير برص —

« ثم ردها فعادت إلى لونها الأول !!

« فـاستشار الملأ حوله فيما رأى ..

« فقالوا له : هذان ساحران يريدان

﴿ ان يُخرجاكم من ارضِكُم بسحرِهما ويذهبا بطريقتكم المُثلى ﴾ ..

« يعني ملكهم الذي هم فيه .. والعيش ..

« وأبو على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب !!

« وقالوا له : اجمع لهما السحرة .. فانهم بارضك كثير .. حتى تغلب بسحرك سحرهما ..

« فأرسل إلى المدائن .. فحشر له كل ساحر متعـــالم ..

« فلما أتوا فرعون قالوا : بما يعمل هذا الساحر ؟.

« قالوا : يعمل بالحيّـــات ..

« قالوا : فلا والله ما أحد في الأرض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصي الذي نعمل .. فما أجرنا إن نحن غلبنـا ؟.

« قـــال لهم : أنتم اقاربي وخاصتي .. وأنا صانع اليكم كل شيء أحببتم .

« فتواعدوا يوم الزينة .. وان يحشر النـــاس ضحى ..

« قال سعيد بن جبير : فحدثني ابن عباس ان يوم الزينة .. اليوم الذي اظهر الله فيـــه موسى على فرعون والسحرة .. هو يوم عاشوراء ..

« فلما اجتمعوا في صعيد واحد .. قال الناس بعضهم لبعض .. انطلقوا فلنحضر هذا الأمر

﴿ لعَلَّنا نتبَعُ السَحرةَ إنْ كانوا هُمُ الغالبينَ ﴾ ..

يعنون موسي وهـارون استهزاء بهما !!

« فـ

﴿ قالوا يا موسى إمّا انْ تُلقي وإمّا أن نكونَ نحنُ المُلقينَ .. قال : القُوا .. فألقَوْا حِبالهم وعِصيّهم وقالُوا بعِزّةِ فِرْعونَ إنا لنحْنُ الغالبُونَ ﴾ .

« فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة ..

« فاوحى الله اليه .. أن الق عصاك ..

« فلما القاها صارت ثعباناً عظيمة .. فاغرة فاها ..

« فجعلت العصي تلتبس بالحبـــال حتى صارت جرزاً إلى

الثعبان .. تدخل فيه .. حتى مـــا ابقت عصاً ولا حبلاً إلا ابتلعتـه !!

• فلما عرف السحرة ذلك قالوا : لو كان هـذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ؟! ولكن هذا أمر من الله عز وجـــل .. آمنا بالله .. وبما جاء به موسى من عند الله .. ونتوب إلى الله ممـــا كنا عليه !!

• فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن .. وأشياعـه .. وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون

﴿ فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ ..

• وامرأة فرعون .. بارزة مبتذلة .. تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه ..

• فمن رآها من آل فرعون .. ظن انها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه ..

• وإنما كان حزنها وهمّها لموسى !!

• فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة .. كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل .. فإذا مضت أخلف موعده !!

• وقال : هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا ؟

• فأرسل الله على قومه .. الطوفان .. والجراد .. والقمّل .. والضفادع .. والدم .. آيات مفصلات ..

• كل ذلك يشكو إلى موسى .. ويطلب إليه أن يكفها عنه ..

• ويواثقه على أن يرسل معه بني إسرائيل ..

• فاذا كف ذلك عنه .. أخلف موعده .. ونكث عهده !!

• حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه ..

• فخرج بهم ليلا ..

• فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا .. أرسل في المدائن حاشرين ..

• فتبعه بجنود عظيمة كثيرة ..

• وأوحى الله إلى البحر : إذا ضربك عبدي موسى بعصاه .. فانفلق اثنتي عشرة فرقة .. حتى يجوز موسى ومن معه .. ثم التق على من بقي بعد من فرعون وأشياعه ..

• فنسي موسى ان يضرب البحر بالعصا .. وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير

عاصياً لله ..

• فلما تراءى الجمعان .. وتقاربا .،

• قال أصحاب موسى : إنا لمدركون .. افعل مـــا أمرك به ربك .. فانه لم يكذب ولم تكذب ..

• قـــال : وعدني ربي إذا اتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة .. حتى اجاوزه ..

• ثم ذكر بعـد ذلك العصا ..

• فضرب البحر بعصاه .. حين دنا أوائل جند فرعون .. من أواخر جنـد موسى ..

• فانفرق البحر .. كما أمره ربه .. وكما وعد موسى !!!!!

• فلما أن جاز موسى وأصحـــابه كلهم البحر ..

• ودخل فرعون وأصحابه ..

• التقـى عليهم البحر كما أمر !!!

• فلما جاوز موسى البحر قـال أصحابه : إنا نخـاف أن لا يكون فرعون غرق .. ولا نؤمن بهلاكه !!

• فدعا ربه .. فأخرجه له ببدنه .. حتى استيقنوا بهلاكه !!

• ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم

﴿ قالوا : يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة . قال : إنكم قومٌ تجهلونَ . إنّ هؤلاءِ مُتبرٌ ما هم فيه ﴾ ..

الآية ..

قد رأيتم من العبر .. وسمعتم مـــا يكفيكم ..

« ومضى ..

« فانزلهم موسي منزلاً وقال : أطيعوا هارون .. فـاني قـد استخلفته عليكم .. فـاني ذاهب إلى ربي ..

« وأجلهم ثلاثين يوماً ان يرجع اليهم فيهـــا ..

« فلما اتى ربه .. واراد ان يكلمه .. ثلاثين يومـاً .. وقـد صامهن ليلهن ونهـارهن .. وكره أن يكلم ربـه فيه .. ريح فم الصـــائم ..

« فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فمضغه ..

« فقال له ربه حين أتاه : لم افطرت ؟. وهو أعلم بالذي كان ..

« قـــال : يا رب إني كرهت ان أكلمك إلا وفمي طيب الريح ..

« قال : او ما علمت يا موسى ان ريح فم الصائم اطيب عندي

من ريح المسك ؟. ارجع فصم عشراً .. ثم ائتني ..

• ففعل موسى عليه السلام ما امر به ..

• فلما رأى قومه انه لم يرجع اليهم في الأجل .. ساءهم ذلك ..

• وكان هارون قد خطبهم وقال : إنكم قد خرجتم من مصر .. ولقوم فرعون عندكم عوارى وودائع .. ولكم فيهم مثل ذلك .. فاني ارى انكم تحتسبون مالكم عندهم .. ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية .. ولسنا برادين اليهم شيئاً من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا ..

• فحفر حفيراً .. وامر كل قوم عندهم من ذلك من متاع او حلية .. ان يقذفوه في ذلك الحفير ..

• ثم اوقد عليه النار .. فأحرقته ..

• فقال : لا يكون لنا ولا لهم ..

• وكان السامريّ من قوم يعبدون البقر .. جيران لبني إسرائيل .. ولم يكن من بني إسرائيل .. فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا ..

• فقضى له ان رأى اثراً .. فقبض منه قبضة .. فمر بهارون ..

• فقال له هارون عليه السلام : يا سامريّ .. الا تلقي ما في يدك ؟.

• وهو قابض عليه .. لا يراه احد طول ذلك ..

• فقال : هذه قبضة من اثر الرسول الذي جاوز بكم البحر .. ولا القيها لشيء إلا ان تدعو الله إذا ألقيتها ان يجعلها ما اريد ..

• فالقاها ..

• ودعا له هارون ..

• فقال : اريد ان يكون عجلاً ..

• فاجتمع ما كان في الحفيرة .. من متاع او حلية او نحاس او حديد .. فصار عجلاً اجوف .. ليس فيه روح .. وله خوار !!

• قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوت قط .. إنما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه .. وكان ذلك الصوت من ذلك ..

• فتفرق بنو إسرائيل فرقاً ..

• فقالت فرقة : يا سامريّ .. ما هذا ؟! وانت اعلم به ؟.

• قال : هذا ربكم .. ولكن موسى اضل الطريق !!

« فقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع الينـا موسى .. فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينـا .. وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى !!

« وقالت فرقة : هذا من عمل الشيطان وليس بربنـا .. ولا نؤمن بـه ولا نصدق ..

« وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق .. بما قال السامري في العجل .. وأعلنوا التكذيب به ..

« فقال لهم هـارون :

﴿ يا قَوْمِ إنما فُتِنتُمْ بهِ وانَّ ربكُمُ الرَحمنُ فاتبعُوني وأطيعُوا امري ﴾ ..

« قالوا : فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً .. ثم أخلفنا .. هذه أربعون يوماً قد مضت ؟!

« وقال سفهاؤهم : أخطأ ربه .. فهو يطلبه يتبعه !!

« فلما كلم الله موسى .. وقال له ما قال .. أخبره بما لقي قومه من بعده :

﴿ فرَجَعَ موسى الى قومِهِ غَضْبَانَ أَسِفا ﴾ ..

• فقال لهم ما سمعتم في القرآن ..

• وأخذ برأس أخيه يجرّه اليه ..

• والقى الألواح من الغضب ..

• ثم إنه عذر أخاه بعذره .. واستغفر له ..

• وانصرف إلى السامري فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟.

• قال : قبضت قبضة من أثر الرسول .. وفطنت لها .. وعميت عليكم

﴿ فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي .. قالَ فاذهب فانّ لكَ في الحياةِ انْ تقُولَ لا مِساس وانّ لكَ مَوعدا لن تُخلفهُ وانظُر الى الهكَ الذي ظلت عليه عاكِفا لنُحرّقنّهُ ثم لننسِفنّهُ في اليمّ نسْفا ﴾ ..

• ولو كان إلهاً لم يخلص إلى ذلك منه ..

• فاستيقن بنو إسرائيل بالفتنة ..

• واغتَبَط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ..

• فقالوا لجماعتهم : يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها .. فيكفر عنا ما عملنا ..

• فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك .. لا يالو الخير ..

خيار بني إسرائيل .. ومن لم يشرك في العجـل ..

« فانطلق بهم .. يسأل لهم التوبة ..

« فرجفت بهم الأرض ..

« فـــاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل ..

« فقال :

﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم من قَبْلُ وإيايَ أتُهْلِكُنا بما فعلَ السُفَهَاءُ منّا ﴾ ..

« وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبـه من حب العجل وإيمـــانه به .. فلذلك رجفت بهم الأرض ..

« فقال :

﴿ وَرَحْمَتي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ فسأكتُبُها للذينَ يتقُون ويُؤْتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنونَ . الذينَ يتّبِعُون الرسُول النّبيّ الأُمّيّ الذي يَجِدُونَـهُ مكتوباً عندهم في التوراة والانجيلِ ﴾ ..

« فقال : يا رب سألتك التوبـة لقومي .. فقلت إن رحمتي

كتبتها لقوم غير قومي .. هلا اخرتني حتى تخرجنى في أمة ذلك الرجل المرحومة ؟.

« فقال له : إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من لقي من والد وولد .. فيقتله بالسيف .. ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن ..

« وتاب اولئك الذين كان خفي على موسى وهارون .. واطلع الله من ذنوبهم .. فاعترفوا بها .. وفعلوا ما أمروا ..

« وغفر الله للقاتل والمقتول ..

« ثم سار بهم موسى عليه السلام .. متوجهاً نحو الأرض المقدسة ..

« واخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب ..

« فامرهم بالذي امرهم به ان يبلغهم من الوظائف ..

« فثقل ذلك عليهم .. وأبوا ان يقروا بها ..

« فنتق الله عليهم الجبل كانه ظُلّة .. ودنا منهم حتى خافوا ان يقع عليهم ..

« فاخذوا الكتاب بايمانهم .. وهم مصغون ينظرون إلى الجبل .. والكتاب بأيديهم .. وهم من وراء الجبل مخافة ان يقع عليهم ..

• ثم مضوا .. حتى أتوا الأرض المقدسة .. فوجدوا مدينة فيها قوم جبارون .. خلقهم خلق منكر .. وذكروا من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها ..

• فقالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين .. لا طاقة لنا بهم .. ولا ندخلها ما داموا فيها .. فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .. قال رجلان من الذين يخافون ..

• قيل ليزيد : هكذا قرأت ؟.

• قال : نعم .. من الجبارين آمَنَا بموسى وخرجا اليه ..

• قالوا : نحن اعلم بقومنا .. ان كنتم إنما تخافون ما رأيتم من اجسامهم وعددهم .. فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم .. فادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ..

• ويقول أناس إنهم من قوم موسى ..

• فقال الذين يخافون .. بنو إسرائيل

﴿ قالوا يا موسى اننا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هٰهنا قاعدون ﴾ ..

• فاغضبوا موسى .. فدعا عليهم .. وسماهم فاسقين .. ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم .. حتى كان

يومئذ .. فاستجاب الله له وسماهم كما سماهم موسى فاسقين ..

« وحرمها عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض .. يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار ..

« وظلل عليهم الغمام في التيه ..

« وأنزل عليهم المنّ والسلوى ..

« وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تَتَسخ ..

« وجعل بين ظهرانيهم حجراً مربعاً .. وامر موسى فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .. في كل ناحية ثلاثة أعين .. وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها ..

« فلا يرتحلون من مكان إلا وجدوا ذلك بالحجر بينهم .. بالمكان الذي كان فيه بالأمس . »

قال الامام ابن كثير :

« هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى ..

« وأخرجه ابو جعفر بن جرير .. وابن أبي حاتم في تفسيريهما .. كلهم من حديث يزيد بن هارون به .. وهو موقوف من كلام ابن عباس .. وليس فيه مرفوع إلا قليل منه .. وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما .. مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب

الأحبار أو غيره والله أعلم . »

*

قلت .. بعد هذا الاستطراد الطويـل .. نتذكر السؤال الذي القينـــاه في مفتتح هذا الفصل وهو : متى كانت تلك اللحظة الفاصلة .. في حياة آسية .. وحياة موسى عليه السلام .. وكيف كانت ؟!

اقول .. بعد ان وضع هذا الأثر عن ابن عباس .. امـــام اعيننا ملخصاً للحوادث ..

اقول .. كانت هذه اللحظة الفـــاصلة .. حين هتفت أعظم ملكة في عصرها .. امرأة فرعون .. أعظم ملك في عصره ..

حين هتفت : لا تقتُلُوه !!

فرفعت بذلك أيدي الذباحين عن ذبح موسى .. وقد جـــاءوا ليذبحوه !!

فكانت لحظة فاصلة في حياة موسى .. فصلت بين الحيـــاة والموت ..

وكانت لحظة فاصلة في حياة آسية ..

فصلت بين حياتها كامرأة كافرة .. وحيـاتها كامرأة مؤمنة ..

حيث كانت كلمتها « لا تقتُلُوه » سبباً في بقاء موسى حيّاً ..

لتؤمن بعد ذلك به .. إيماناً جعلها تضحي بعرشها .. أعظم عرش في عصرها ..

وتؤثر عليه إيمانها بربّهـا !!

« أرضعيه ..

فإذا خفتِ عليه ..

فألقيه » ؟!

نُبدىء .. ونُعيد ..

كما قلنـــا مراراً .. ونعود .. فنكرره تكراراً ..

ان حياة الأنبياء .. حياة أنوار .. لا حياة حوادث ووقائع ..

وان الخطـــأ الفاحش الذي وقع فيه كثير ممن كتبوا عن الأنبياء .. أنهم سردوا وقائعهم للناس .. شغلوهم بحوادث تاريخية ..

فكان هذا حجاباً .. حجب الكثيرين عن أبهج ما في الأنبياء ..

وهو .. نورهم الوهاج .. الذي هو قرة عيون القلوب ..

ولو ركّـز الناس عيونهم .. على انوار الأنبياء .. لأدركوا منهم اضعاف اضعاف مـا يدركون من حوادث الأنبياء ..

وكأن كتاب الله العزيز .. يريد ان يلفتنا إلى هذا الاتجاه .. أن ننظر إلى أنوار الأنبياء أكثر من نظرنا إلى وقـائعهم ..

فيبدأ قصة موسى عليه السلام .. بقوله عز من قائـل :

﴿ واوْحَيْنا الى أمّ موسى

﴿ أنْ ارضِعيهِ

﴿ فاذا خِفْتِ عليهِ

﴿ فالقِيهِ في اليمّ

﴿ ولا تخافي ولا تحزني

﴿ إنا رادّوه اليكِ

﴿ وجاعلوهُ مِنَ المرسلينَ ﴾ ..

اقرأ .. هـذه الآية الكريمة .. مرات

ليتأكد لك ان حياة الأنبياء .. حياة أنوار ؟

الجو العام للحادث .. حادث مولد موسى ..

مجتمع كئيب .. رهيب .. يجلس من فوقـه .. ملك متـأله قبيح ..

يتسلط على بني إسرائيل .. في وقــاحة وكبرياء ..

أوامره صريحـــة .. يُـذبح فوراً كل مولود ذكر .. يولد من اسرائيلية وامام عينيها ؟

وُيترك الإناث .. زيادة في التنكيل بالمضطهدين ..

اجهزة مخـــابرات جهنمية .. لا تتورع عن ارتكاب ابشع الجرائم .. استرضاء .. للإله الحاكم ..

فزع .. ورعب .. وخوف ؟

في هذا الجو القاتم الأسود .. ولَدت ام موسى ، طفلاً ذكراً ؟

ولسان حالها يقول : يا ليتني .. مِتُّ قبل هذا ؟

ماذا أصنع .. في تلك المصيبة ؟

أأقتله .. وأسلمه لزبانية فرعون .. ليذبحوه ؟

ام اخفيه .. ولكن كيف يخفي على مخـابرات فرعون .. وقد وُضِع الإسرائيليات تحت الرقـابة الشديدة ؟

وقتل الخوف فؤاد ام موسى .. وشل تفكيرهـا ؟

هنالك .. حين تُسد الأبواب كلها في وجه الإنسان .. ويستحكم اليأس .. يبقى غوث المغيث ؟

(وأوحينا) اغثناها .. وعلمنا حيرتها .. فجئناها ..

(إلى أم موسي) قيل كان اسمها (يوكابد) .. عليها السلام ..

(ان أرضعيهِ) لا تسلميه إلى هؤلاء المجرمـين .. وارضعيه .. وضميه إلى صدرك الحنون .. وانعمي بنعيم الأمومة الكريم ..

(فاذا خفتِ عليهِ) فاذا حدث .. واكتشفوا أمره .. وخفت ان ياخذوه بالقوة ليذبحوه ..

(فالقيهِ) فاقذفيه ..

(في اليمّ) في الماء .. في نهر النيل ؟

أمرٌ كله عجب ؟

فاذا خفت عليه من القتل بأيديهم ، فاقذفيه ليهلك غرقـاً في الماء ؟

ها هنا العقل مشلول ؟

ولكنه وحي يوحى ، مرتبة فوق العقل !!

وكان ام موسى ، انتقلت من فزع قتله بأيدي زبانية فرعون ، إلى فزع قتله بالقائه في البحر .. فكان الوحي :

(ولا تخافي) اطمئني غاية الاطمئنان ، يا ام موسى ؟

(ولا تحزني) وقرّي عيناً ..

ما هذا ؟ هذا تكليف بما لا يطاق ؟

كيف يُطلب إلى ام هالعة ، ألا تخاف ، والا تحزن ؟

هنالك .. نزل الامداد .. إلى الفؤاد ..

فؤاد .. ام موسى ؟

(إنّـا) نحن الله ..

(رادّوه) حتماً ، ووعدنا حقـاً ..

(اليكِ) انتِ ، بالذات ، لا إلى امرأة غيرك قط !

(وجاعلوهُ) حتماً ، مقضياً ..

(من المرسلينَ) من اعظم عظماء المرسلـين !

ما هذا ؟! كيف هذا ؟!

انه .. الله !.

قوله .. الحق .

ووعـده ، الصدق ..

ووحيه ، أمر واقع .. ما له من دافع !

لا سبيل للخلق اجمعين .. إلى علم شيء من هذا الوحي لسبب بسيط .. انه كان بين اثنين .. لا ثالث لهما ..

بـين الله .. وبين ام موسى !

وهذه الآية تشير إلى ذلك :

﴿ إذْ أوْحَيْنا الى أُمّكَ ما يُوحَى ﴾ ؟..

كان شيئاً بيني .. وبينها ..

أنا ربها .. وهي امَتي ..

اوحي ما أشاء ، إلى قلبهـا ، ولا يشعر احـد بشيء !!

ان هذا المشهد .. اشهد .. انه .. انوار من فوقها انوار ..

يقف العقل امامه .. كأنه حمار !!

وإلا فنبئني ايها السيد العقل : مـــا مدى فهمك في تلكم الأسرار ؟!!

« اقذفيه ..

في ..

التابوتِ » ؟!

اقذفيه ؟!

اقذفيه ؟!

مَن اصدر هذا الأمر ؟

اصدره .. الذي بيده ملكوت السماوات والأرض .. سبحانه !!

وإلى مَن ؟

إلى التي تتوقع أن يهاجموهـــا .. في أي لحظة .. وينتزعوا رضيعها .. ويذبحوه أمام عينيها !

وهو أمرٌ .. لا معقول ..

بل .. وراء اللامعقول ..

أم .. تخاف أن يذبحوا وليدها .. وأمرٌ يقول لها .. اقذفيه إلى اليم .. فاقذفيه في التابوت ..

يعني .. ارميه .. رمياً .. ولا تبالي .. يا يوكابـد ..

الأمر .. يثير الرعب في فؤاد أم موسى .. اكثر مما يثيره رعب توقع ذبحه ..

فماذا تختار ؟

هذه حيرة العظماء .. عظماء الأولياء .. وعظماء الأنبياء .. وعظماء أمهات الأنبياء ..

ها هي أم موسى ، تدخل تجربة رهيبة ..

إما ذبح الوليد .. وإما القائه إلى البحر ..

ومن بعدها .. أم عيسى .. التي اسمها « مريم » .. عليهـــا السلام ..

دخلت تجربة أعنف وأعنف ..

أن تلد غلاماً .. اسمه المسيح عيسي .. بأسلوب ، لم يحدث قبلها قط ، ولن يحدث بعدها قط ..

تجربة تجمعت فيها كل المتضادات ..

وحين فاجأها المخاض ، صرخت من أعماق باطنها ، في صوت لا يسمعه إلا الله ..

﴿ يا ليتني مِتُّ قبلَ هذا

﴿ وكنتُ نَسيا منسِيّا ﴾ ..

أولئك ، أُدخلوا تجارب ، تهتز لها الجبال ..

ما صعدوا إلى المراتب العُلى .. إلا بعـد أن زُلزلوا زلزالاً رهيبـاً ..

على أم موسى .. السلام ..

على أم عيسي .. السلام ..

واختارت أم موسى ، أمر ربها الصادر اليها .. بقذفه إلى اليَم ، وشرعت في تنفيذ الأمر ..

وانظر إلى الجمال المقدس ، الذي يتلألأ ، من ذلك المشهد ، في كتـاب الله العظيم :

﴿ ولقد مَنَنّا عليكَ مرةً أخرى ..

﴿ إذ اوحينا إلى أمّكَ ما يُوحى ..

﴿ انِ اقذفِيهِ في التابوتِ ..

﴿ فاقذفيه في اليمّ ..

﴿ فَلْيُلْقِهِ اليمُّ بالساحلِ ..

﴿ يأخُذْهُ عَدُوٌ لي وعَدُوٌ له ..

﴿ والقيتُ عليكَ محبّةً مني ولِتُصنَعَ على عَيني ﴾ !!

اقذفيه في التــابوت ..

احضري يا يوكابد .. .. صندوقاً .. وضعيه فيه ..

فاقذفيه في اليم .. واسرعي ولا تتباطئي .. واقذفي الصندوق في النيل ، ولا تبـــالي !!

وأمرٌ أعجب وأعجب ..

أمرٌ صادر إلى جماد !!

فليلقه اليم بالساحل .. البحر مامور أن يُلقي هـذا الصندوق بالشاطيء ، شاطىء النيل ..

أين ؟! فالشاطىء يمتد إلى أواسط افريقيا جنوباً .. وإلى البحر الأبيض شمالاً !!

في مكان معين .. محدد .. لا يزيد شبراً ولا ينقص !!

في مكان ، سيُلتقط فيه الصندوق .. من أشخاص بالذات ..

﴿ فالتقطهُ آلُ فرعونَ ﴾ ؟!.

تأمّـل .. ايها الماء خُذ هذا الصندوق ، والقِه إلى ساحل النيل ، عند قصر فرعون ..

ونفَّذ الماء ، أمر ربه ..

﴿ فليُلقِهِ اليمُّ بالساحلِ ﴾ ا.

لماذا عند قصر فرعون بالذات !!

أساوب من التحدي ، خُذ هذا الطفل ايها الفرعون ، خذه ﴿ ليكونَ لهُم عَدُوّاً وحَزَناً ﴾ ..

كأنه يراد أن يقال : خذ هذه البندقية ، وأفرغها في صدرك !

جمال عجيب ، وصُنع متين ، لا يقدر عليه إلا الله !!

وفرعون هذا ، كان مضروباً من داخل تركيبه وبنيانه ، وهذا اشد انواع الضرب والتنكيل ..

فإن الضرب من الخارج .. يمكن مقاومته بوسائل الدفـــاع المحسوسة ..

أما الضرب من داخل تركيب الإنسان ، فيستحيل مقاومته ..

واعني بضرب فرعون من الداخل ، ان امرأته كانت عاقراً ، لا تنجب ولا تستطيع الإنجاب !!

تأمّل .. إله ، عاجز أن يكون له ولد من امرأته ، اي انـه اعجز من نملة ، فإن النملة تتناسل .. ولكن المذكور يعجز عما تفعله النملة !!

وهذا الضرب من الداخل ، يزيد في غيظ الإله المذكور ..

فبينما هو يتعـــالى ، وينادي :

﴿ انا رَبُّكم الأعلى ﴾ ..

إذا هو في نفسه ، احقر من ذبابة ، واعجز من نملة !!

والجبابرة كلما تجبروا على الخلْق .. زادهم الله صَغاراً وعَجزاً في انفسهم ..

وكاس بكاس ، ولكن اكثر النـــاس لا يعلمون ..

هـذا الَملك .. الذي يتمنى طفلاً من امرأته .. ولو دفع فيـه مُلكه كله ..

نسي كل ما اصدر من أوامر ، بقتل ذكور بني إسرائيل بمجرد ولادتهم ..

وبدا صغيراً حقيراً ، امام زوجته الملكة ، حين فوجئت بالصندوق راسياً على شاطىء القصر الممتد على النيل ..

ثم حمل الجواري اليها الصندوق الذي وجدنه .. بين المـــاء والشجر ..

ثم فوجئت مرة اخرى ، حين وجدت بداخله طفلاً ، ليس كمثل جماله جمال ..

فجُنّت به حُبّاً ..

﴿ وألقَيتُ عليكَ محبّةً منّي ﴾ ..

وحملت الملكة الطفل الجميل على يديها ..

وجاءت إلى الملك بالمفاجأة ..

ولكن فرعون .. اراد في البداية ان يبدو قاهراً ، ولكنه هذه المرة صار مقهوراً ..

لقد احس انه يحب هذا الطفل ، اكثر من حب امرأته له ..

لماذا هذا الانقلاب !

إن

﴿ ألقيتُ عليك محبةً منّي ﴾ ..

تؤدي دورهـــا ..

وآنست الملكة من الملك .. استعداداً ..

﴿ وقالتِ امرأتُ فرعونَ

﴿ قرّتُ عينٍ لي ولكَ ﴾ ..

إنهـا تعزف على الوتر الحساس .. من فرعون ..

لي .. ولكَ ؟

سرور لي ، وسرور لك ..

ودوّى في اعماق فرعون صوت امرأته .. واحس انـه يتهدم كله ، امام الرغبة في الولد من زوجته هذه ..

وجاء زبانية فرعون يهرعون ..

ليقتلوا هذا الطفل ، كما هي اوامر فرعون ..

فصاحت الملكة ، في صوت ثائر آمر :

﴿ لا تقتُلُوهُ ﴾ ..

ونظر الزبانية إلى إلههم ، ولكن الإله هذه المرة ، امرهم ان ينصرفوا ، فانصرفوا كالكلاب الضالة ..

وفي مشهد فريد .. حيث الملك والملكة وحدهـا ..

والملكة تُقبل الطفل وتضمه إلى صدرها .. قالت :

﴿ عسى أن ينفَعَنا

﴿ او نَتَّخِذَهُ ولدا ﴾ ..

واستمع فرعون الى صوت امرأته .. وهو يعاني من التمزق ، بين رغبته في الولد منهـا .. وبين مقتضيات المُلك ..

ولكنه تضعضع واستسلم ..

والجبابرة حين يصدرون اوامرهم .. يصدرونها لكل الناس .. إلا انفسهم لأنهم شيء .. والنــاس شيء ..

سوّلت له نفسه .. ان تتبنى الملكة .. ذلك الطفل ..

وان تربيه تربية ملكية ..

وشاركته الملكـة في التدبير لذلك والترتيب ..

﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ..

وكلهم جميعــــاً .. لا يشعرون أن الله يدبر امراً لا يخطر على بالهم !!

﴿ وأصبحَ ..

فؤادُ امِّ موسى ..

فارغاً ﴾ ؟!

مستحيل .. ثم مستحيل ..

أن يوجد تعبير .. أعلى ، ولا أرق ، ولا اشمل ، ولا اكمل .. من هذا الذي بين يديك :

﴿ وَأَصْبَحَ فؤادُ أمِّ موسى فارغا ﴾ ..

لماذا ؟. لأن الذي خلق .. ام موسى .. هو الذي يتكلم ..

الذي خلق ، الامهات .. وركبهن في شتى التركيبات .. هو الذي يتحدث .

وفرق ما بين كلام الله .. وكلام الناس .. كفرق ما بين الله والناس ..

ما هو الفؤاد !. هو قلب القلب ..

وكيف اصبح فؤادها فارغاً ..

لأنها القت بيديها ، وليدها إلى الماء ..

ووقفت العظيمـة .. الكريمـة .. ترقب الصندوق وهو يسبح فوق الماء ..

منظر إلهي .. فـذ .. عجيب ..

طفل .. مضى على ولادته ثلاثة من الشهور .. في صندوق .. فوق ماء النيل ، وحده ؟

وأم .. ضادت غريزة الأمومة .. والقت به إلى الماء ..

مشهد توحيد تجريدي ..

لتسقط قوانين الأسباب كلها ..

ها هو الطفل ، وقد انفصل تماماً عن الأسباب ، فلا أم لترضعه وترعاه ، ولا فراش ليدفئه ويؤويه ..

ولكن .. وحده .. وهو في عجز تام .. لا يدري مـــاذا يُصنع به ..

هنالك .. تجلى قوله تعالى :

﴿ ولِتُصنَعَ على عَيْني ﴾

الأنبياء .. يصنعهم .. هُوَ ..

ويربيهم .. هو ..

وُيرسلهم .. هو ..

ولا يأذن لأحد قط .. ان يتدخل في تربيتهم ..

ماذا كان يهدر في بنيان أم موسى في تلك اللحظة الخالدة ؟

قانون الأسباب ، يدفعها أن تراقب الصندوق ، لتعرف مصيره ، فلربما دخل الليل ، وافترس تمساح وليدها ، او أخذه الصبيان ليلعبوا به ، أو سرقه لصوص البحار ..

إذن لا بد من الرقابة :

﴿ وقالتْ لاختِهِ قُصّيهِ ﴾ ..

تتبعي يا بُنية أخاك .. واحذري أن يشعر بك احد ..

وسارت اخته .. وعيناهـا على الصندوق .. حيث يضطجع الوليد ..

﴿ فبَصُرتْ به عَن جُنُبٍ وهُم لا يَشعُرُونَ ﴾ *.

عن جُنُب ؟. عن بُعد .. من بعيد .. تراقب الصندوق ..

وهم لا يشعرون .. ولا يشعر أحد من الناس .. ان هنـاك فتاة .. تسير مستترة مختبئة .. على الشاطىء المقـابل .. تراقب هذا الصندوق ..

تا لله .. إن دموعي .. لتتحدر تأثراً .. من روعة ذلك المشهد الجميل ..

إن فيه رحمة عجيبة ..

هذا كله تدبير من أم موسى .. وأخت موسى .. يحتمه قانون الأسباب الغريزي ..

ويحتم القانون كذلك .. ان يصبح فؤاد أم موسى فارغاً ؟

لأن خوف الأم على وليدهـــا غريزة مشروعة .. مركبة في تركيب الأمهات .

ولقد اشتد خوفها .. حتى كادت تتحدث وتصيح هلعاً وفزعاً على صغيرها .

﴿ إنْ كادَت لَتُبدي بهِ ﴾ ..

لولا ؟. لولا ماذا ؟.

﴿ لولا ان رَبَطنَا على قَلبِها ﴾ ..

هذا قانون فوق قانون الأسباب ..

قانون الأسباب .. يدفع إلى الحزن والخوف والهلع ..

﴿ إن كادت لتُبدي بهِ ﴾ ..

أوشكت ان يظهر منها آثار الفزع والهلع .. والبكاء والصراخ فيفتضح امرها للناس ..

ولكن حدث تدخل إلهي ، ونزل قانون فوق هذا القانون .. يلغيه تماماً

﴿ اولا ان ربطنا على قلبها ﴾ ..

اغلاق تام لأمواج الظلمات من قلبها ، لأمواج الخوف والفزع ، وفتح تام لأمواج النور من قلبها ، لأمواج السكينة والطمأنينة والسلام والتسليم ؟.

﴿ لِتكونَ منَ المؤمنينَ ﴾ ..

رقيناها .. إلى أمواج النور .. واخرجناها من الظلمات إلى النور . واريناها .. فابصرت ما لم تكن تبصر .. وعلمت ما لم تكن تعلم .. وصارت من كاملات الإيمان .. وقمم النور ..

لقد كان يهدر في بنيان أم موسى ، في تلك اللحظة ..

قانونان ، متضادان ..

قانون الأسباب ، يدفع إلى التدبير ، والخوف والهلع ..

وقانون يضاده ، يدفع إلى التسليم ، والاطمئنان والتفويض ..

إلا انه حاكم ، على قانون الأسباب ، لأنه فوقه ، وأعلى منه ..

فلما كادت أن تبدي حزنها وخوفها .. نزل قانون أعلى

﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ ..

فتبدلت أم موسى .. هنالك ..

وتلألأ أمام عين قلبها

﴿ ولا تخافي .. ولا تحزني .. إنا رادّوه .. اليك ﴾ ؟.

﴿ وَعَرَّفْنا ..

عليهِ المراضِعَ ..

مِن قبلُ ﴾ ؟!

« من قبلُ » ؟!

من قبل ماذا ؟!.

من قبل أن يولد موسى .. ومن قبل أن يُلقى إلى البحر .. ومن قبل أن يلتقطه آل فرعون ..

بل من قبل أن تكون هذه الحياة الدنيا بما فيها .. ومَن فيها ..

بل من قبل خلق السماوات والارض ..

من قبل هذا كله .. أردنا .. وقدّرنا .

﴿ وحَرَّمنا عليهِ المراضعَ ﴾ ؟!.

إنما هي أمور نبديها .. ولا نبتديها !.

في هذه الكلمة « مِن قبْلُ » إعجاز الإعجاز ..

وسبحان مَن ليس كمثل كلامه كلام ..

﴿ وحرّمنا عليه المراضع من قبلُ
﴿ فقالتْ هل ادلُّكم على أهل بيت يكفلونهُ لكُم وهم له ناصحون ﴾ ؟!.

وحرَّمنا عليه المراضع !.

التحريم هنا تحريم تكويني .. كن فيكون ..

حتماً يكون .. ومستحيل ألا يكون !

موسى .. لا يرضع ثدياً قط .. غير ثدي أمِّه ..

وقد كان .. وقع حُب الطفل .. من قلوب اهل القصر جميعاً ..

امرأت فرعون .. الوصيفات .. الخدم .. الحشم ..

الجميع ، قد شغفهم موسى حُباً !

وبعد ان كان المفروض ، ان يقتلوه ، اصبحوا جميعاً يتسارعون إلى المحافظة عليه .. ورعايته !

وجعل الطفل ، يبكي ويصرخ ، من شدة الجوع ..

وجاءوه بأحسن المراضع .. من نساء القصر .. او من خارج القصر ..

فرفضها جميعاً .. وأبى أن يرضع من ثدي واحدة منهن !

لمـــاذا !.

﴿ وحرمنا عليهِ المراضعَ من قبلُ ﴾ !.

هناك أمر إلهي .. صادر بذلك .. وهم لا يشعرون !.

وأصدروا أمراً ، إلى الجميع ، ان يحضروا اليـــه فوراً ، امرأة ، يقبل هذا الطفل الرضاعة منها ، وإلا هلك جوعاً ..

وانتشر رجال القصر يبحثون في كل مكان ، وكلمـــا جاءوا بامرأة ، رفض الطفل رضاعهـا !

وكانت فرصة ذهبية ، انتهزتهـــا مريم ، اخت موسى .. قالت لطائفة ممن يبحثون عن مرضعة للطفل :

« هـل أدُلّـكمْ على اهـلِ بيتٍ » على اسرة طيبـة تحسن الرضاعة ..

« يكفلونهُ لكم » يقومون برعايته ورضاعته وتربيته احسن تربية ، ويحملون عنـكم جميع مسئوليته !

« وهم له ناصحون » يوجهونه دائمـــاً ، إلى الخير والأخلاق الرفيعة ، في أمانة وإخلاص !

فلما سمعوا منها مـا سمعوا .. هرعوا إلى الملك .. وأخـــبروه بخبرهـــا ..

فامر بإحضارها فوراً ..

فلما سمع الملك حديثها ،.أمرها ان تسرع بإحضار تلك المرأة اليه ..

فعادت إلى امها ، تحمل اليها البشرى ..

يا أماه .. إن وعد الله حق ، يا اماه ..

ـ اسرعي ، اسرعي .. فرعون يريد مقابلتك فوراً !

ففزعت أم موسى ، وظنت انها مقتولة لا محالة ، لانها اخفت موسى ، وعثروا عليه .. واكتشف الملك المؤامرة ، فأمر بقتل الطفل ، وقتل امه التي فعلتها مخالفة اوامره !

فصاحت مريم بأمها : ليس الأمر كما تظنين ، الامر عكس ذلك تماماً يا اماه !

ـ كيف يا بنية !. وما شأن فرعون بي ، وماذا يريد مني فرعون ، إلا ان يقتلني !

قالت مريم : كلا .. لقد التقطوا الصندوق ، وفتحوه ، واخرجوا الطفل منه ، فما ان رأوا جماله الفائق ، ونور وجهه .. حتى احبوه جميعاً ، الملك والملكة ، وجميع من بالقصر نساءً ورجالاً ..

همست ام موسى :

﴿ إنَّا رادُّوهُ إليكِ ﴾ ؟!.

– نعم يا اماه ، إن وعد الله حق .. إنهم يبحثون عن مرضعة ترضع الطفل ، والطفل يأبى ان يرضع من اي امرأة ..

قالت ام موسى : وماذا يريدون مني ، وماذا يصنعون بي !

قالت مريم : رأيتهم وهم يلهثون بحثاً عن امرأة يقبل اخي الرضاعة منها .. فقلت لهم :

﴿ هل أدُلُّكُم على أهل بيتٍ يكفُلُونَهُ لكُم ﴾ ؟!

فصاحت بها امها : إذن قد اكتشفوا الامر .. ونحن جميعاً مقتولون لا محالة !

– كلا .. كلا .. يا أماه ، سوف ترين غير ذلك ..

– أسرعي .. اسرعي معي .. إلى فرعون .. إنه في الانتظار !.

فلما دخلت أم موسى .. إلى فرعون ومَن حوله .. وجدت الطفل يصرخ وينتحب من الجوع .. والكل لا يدري ماذا يفعل ..

فتناولته ، والقمته ثديها .. فتبسم ضاحكاً .. كانه مَلَك يضحك .. وجعل يمص ثديها في نهم شديد !.

وُسرت الملكة سروراً عظيمـاً ..

وعجب جميع الحاضرين والحاضرات ..

لماذا هذه المرأة بالذات ؟!

سالها فرعون في ذلك : فقالت نحن أهل بيت طيب ، ونساؤه طيبات اللبن .. وافرات الحنـان ..

واشارت الملكة على الملك .. أن يدفعه اليهـا .. لترضعه في بيتها .. وأن يقرر لها أجراً ضخماً ، نظير الرضاعة والحضانة .. على أن يحضروه إلى القصر دائمًا .. لينعموا برؤيته !.

وعلى الفور صدرت الأوامر الفرعونية .. ان يخصص لحـاضنة موسى مخصصات ملكية ..

وأن يوضع الطفل تحت رقابة القصر !

وأن ياتوا به مكرماً إلى القصر .. لتراه الملكة .. ويطمئنوا عليـه ..

وفي مشهد من المشاهد الإلهية !!

جعلت الملكة تُقبل الطفل وتقبله .. وهي تسلمه إلى الحاضنة ، وتوصيها به خـيراً ..

وخرجت أم موسى .. من قصر فرعون .. تحمل موسى ..

في موكب ملكي .. سار معها .. حتى بيتها !!

﴿ فرددْناهُ إلَى أمّه .

﴿ كي تقَرّ عينُها

﴿ ولا تحزَنَ

﴿ ولِتعلمَ أنّ وعدَ اللهِ حقٌ

﴿ ولكنّ أكثرُهم لا يعلمونَ ا..

﴿ .. فَرجَعناك إلى أمّكِ

﴿ كيْ تقَرّ عينُها

﴿ ولا تحزنَ ﴾ ..

« ألم نُربِّكَ ..

فينا ..

وَليداً » ؟!

قرَّتْ عينُ ..

أمّ موسى .. برضيعها ..

ومكث في حضنها .. ترضعه .. اكثر من سنتين !!

على حساب فرعون ، ومن مخصصاته الملكية الواسعة !

وعلمت أن وعـد الله حق ..

﴿ إنا رادُّوه اليك ﴾ ..

وكان شاناً من شئون الله عجيباً ..

طفل بين يدي أمه .. يُربى على حساب فرعون .. ويسعـد البيت كله من حوله ، بما يرد اليه من انعامات فرعون !.

وأكملت أم موسى رضاعة الطفل ..

ورأى فرعون .. وامرأة فرعون .. ان يعود الطفل إلى القصر الملــكي ..

وهــا هنا كان امر آخر عجيب ..

دفع حرص فرعون وامرأته ، على إحاطة الطفل ! بكل انواع الحنــان ..

أن يصدر الأمر بانتقال امه معــه .. إلى القصر !!

لتقوم بتربيته وتدفئه بحنانها .. امـــام اعينهم !!

وانتقلت الام مع وليدهـــا ، إلى القصر الملكي ..

وعاشت معه .. على مستوى الملوك .. اعلى مستوى في البلاد كلهـــا !!

إلا ان ما هو اعجب .. إن موسى ، صار بذلك ..

« قُرّة عَين » ..

لطرفـــين ضدين !

فهو قرة عين .. لامه التي تلازمه ، وتنعم به .. تحقيقـــاً لقوله تعـــالى :

« فرَجعناك إلى أمكِ كي تقَرَّ عينُها ولا تحزَنَ » !.

وفي نفس الوقت .. هو قرة عين .. للضد .. للطرف الثاني ، لامرأة فرعون !

تحقيقاً لقوله تعالى :

« وقالتِ امرأتُ فرعونَ قرّتُ عينٍ لي ولَكَ » .

قدرة ، لا تكون إلا من القادر القدير المقتدر .. الذي هو على كل شيء قدير ..

طفل واحد .. يكون قرة عين .. لضدين .. لطرفين عدوين !

الأم .. تقر عينها بموسى ..

والملكة .. تقر عينها بموسى ؟!

لماذا ؟! السر ها هنا ..

« وألقَيْتُ عليكَ محبة مني » ..

سبحانك اللهم ، سبحانك !

وترعرع موسى ، على اعلى مستوى ، يتصور ان يترعرع عليه طفل في الحياة !

في الظاهر .. تربية حشدوا لها كل إمكانيات فرعون ..

قصور ملكية ، بما فيها من صنوف الابهة والجمال ..

خـدم من كل نوع ..

جواري وعبيد ها هنا وهناك ..

رجال الكهنوت ، الذين هم أعلى طبقة مثقفة في البلاد ، والذين هم كل شيء لكل شيء في ذلك العصر ..

يقومون بتعليم موسى ، ارقى ما عندهم من ثقافـات عصرهم ..

نشأة يا لها من نشأة !

وامه إلى جواره .. تتقلب هي الاخرى في جنـــات ونعيم !

هـذا في الظاهر .. فماذا في الباطن ؟!

في الباطن

﴿ ولِتُصنَع على عيني ﴾ ..

فلا شيء من مفاسد القصور الملكية ، وما اكثر مـا فيها من فساد .. يتسرب إلى موسى ..

لأنـ هناك رعاية وعناية عليا .. تعصمه من ذلك كله ..

هنـاك

﴿ على عَيْني ﴾ ؟!.

فشب موسى .. عليه مهابة الملوك .. ظاهراً !

وفي باطنه .. جلال الانبياء .. وجمال المرسلين .. إلا انه مستور لم يؤذن له بعد بالظهور ..

تماماً .. كما وصفته تلك الفتاة التي صارت له زوجة من بعد :

﴿ إن خيرَ مَن استأجَرْتَ القويُّ الامينُ ﴾ !..

كأنها تنطق بلسان الغيب ..

القويُّ .. ظاهر الشخصية .. قوة الشخصية .. التي يهابها من رآها ..

الامين .. باطن الشخصية ، المكنون ، الذي سوف يظهر من بعد .. حين يبعثه الله رسولاً !

وكلمة الامين .. هي جماع صفات الانبياء كلها !.

وقد نطق ، اهل مكة بذلك .. قبل ان يكون محمد رسولاً .. ووصفوه واشتهر بينهم بالامين !

عاش موسى ، في قصور فرعون .. واطلع على ما فيها .. من مفاسد .. ودسائس .. ومؤامرات ..

ورأى بعينيه ، ما يحدث من فرعون .. وهامان الرجل الأول في الدولة .

ومـــا يصدرون من أوامر .. ويحيكون من مؤامرات ، ضد بني إسرائيل ..

ورأى عجائب مخابرات هامـان ، واساليبه التي لا تخطر على البـــال .. في الخلاص من اعداء فرعون وأعدائه ..

كل ذلك .. ليشهد موسى عملياً .. حقـائق المجتمع الذي سوف يبعث اليه منقذاً .. ليخرجه من هذه الظلمات المتراكبة ، ويخلصه من طغيان هذا الطاغية الرهيب ..

فهو في القصور الفرعونية ، ليلاً ونهاراً ..

ولكنه ممنوع بقوة عليا .. من المشاركة في مفاسدها ومفاتنها ، قـوة

﴿ ولتُصنعَ على عيني ﴾ !.

وهذه وحدها .. آية !

ولكنهم لا يشعرون !

ولبث موسى .. في القصور الملكية الفرعونيـة ..

حتى بلغ اشده .. وصار شاباً .. تهابه الأنظـــار .. وتقر له العيون ..

وقد لفت نظره فرعون .. فيما بعد .. إلى تلك الفـترة التي عاشها في قصره ناعماً منعمـاً ..

﴿ قالَ الم نُربّكَ فينا وليداً ؟!.

﴿ ولبثتَ فينا مِن عُمُركَ سِنينَ ﴾ ؟!.

ألم نُربّـك فينا .. في قصورنا ، وبيننا .. واعتبرناك منـا .. وما كان لك أن ترتفع إلى مستوانا ..

وليداً ؟!. التقطناك حال ولادتك ، وكان المفروض أن أقتلك ، كسائر الأطفال من بني اسرائيل ..

ولبثت فينا ؟!. من حياتك ..

سنين ؟!. سنين طويلة .. كنا نعدك فيها لتكون أمـــيراً .. يا مـوسى .

الآن .. تعود الينا .. وقد فررت عنا .. خوفـــاً من حكم الإعدام .. تعود وتزعم أنك رسول من رب العـالمين ؟!

العب لعبة غيرها ، فانـا أعرف مَن انت .. ولم فررت ؟!

كان فرعون يريد أن يقول لموسى : فجأة .. تحولت يا موسى ، من مجرم محكوم عليه بالإعدام .. وهارب من حكم الإعـدام .. إلى رسول من رب العالمين ..

من أسفل سافلين .. يا موسى .. إلى أعلى عليين ؟!

يا لك من مجنون !

تجد الإشارة إلى مثل هذا المنطق الفرعوني ، في قول فرعون :

﴿ إن رَسُولكمُ الذي أرسلَ اليكم لمجنونٌ ﴾ .

إن رسولكم .. منتهى التحقير .. رسولكم أنتم .. لا أنا .. فانا فوق هذا العبث المزعوم !

لمجنون ؟! منتهى الجنون .. لقد عاد الينا .. وقـد تسربل بسربال الكهنوت .. ويا ليته زعم أنه كاهن من الكهـان .. ولكن ادعى قفزة واحدة أنه رسول !

ثم ما هذه النبوة التي نزلت عليك فجأة يا موسى ؟

أنسيت جريمتك .. التي هربت فراراً من عقوبتها ؟!

﴿ وفعَلْتَ فعلتَكَ التي فعلتَ وأنتَ من الكافرينَ ﴾ !!.

وانت لا تعرف ديناً .. ولا إيماناً .. والآن تاتينا رسولاً ؟!

يلجأ فرعون ، إلى منطق خبيث .. لتحطيم شخصية موسى ، وصرف أنظار الناس عنه ..

يريد ان يفهموا أن المحكوم عليه بالإعدام في جريمة قتل .. لا يمكن ان يتحول فجاة إلى رسول !

﴿ وقتلتَ نفساً ..

فَنَجَّيناكَ مِنَ الغمِّ ..

وفَتَنَّاكَ فتوناً ﴾ ؟!

قال عزّ وجلّ :

﴿ وقتلت نفساً فنجّيناك منَ الغمّ وفتنّاك فُتُونا ﴾ ..

« وقتلت نفساً » يعني جل ثناؤه بذلك : قتله المصري ، حين استغاثه عليه الاسرائيلي ..

« فنَجَيْناك من الغمّ » تخلصناك .. من ان يصلوا إلى قتلك ، وقَوَدِك به .

« وفتنّاك فُتُوناً » اختبرناك اختباراً . قيل : هو البلاء على إثر البلاء ..

ما هي هذه النفس التي قتلها موسى .. وما تفصيل القصة ؟

قال تعالى :

﴿ ودَخَلَ المدينةَ على حينِ غفلةٍ من أهلِها

﴿ فوجدَ فيها رجلين يَقتتِلان

﴿ هذا من شيعتِهِ وهذا من عدوِّهِ

﴿ فاستغاثهُ الذي من شيعتِهِ على الذي من عدوِّهِ

﴿ فوكَزَهُ موسى

﴿ فقضى عليهِ

﴿ قال هذا مِن عمل الشيْطان

﴿ إنهُ عدوٌّ مُضلٌّ مبينٌ ﴾ .

« ودخل » موسى ..

« المدينة » العاصمة ..

« على حين غفلة من أهلها » عند القائلة .. نصف النهار ، حين يغفل سكان العاصمة ، ويأوون إلى مضاجعهم من شدة الحر ..

« فوجد فيها » ففوجىء .. حـين رأى ..

« رجلين يقتتلان » يريد كل منهما أن يبطش بالآخر ..

« هذا من شيعته » أحدهما من أهل دين موسى .. أي من بني إسرائيل ..

« وهذا من عدوه » من المصريين ..

وكان العداء مستحكماً بين الفريقين ، المصريون يسخّرون بني إسرائيل .. في أحقر الأعمال وأشقها بلا مقابل ..

ويُعامل بنو إسرائيل على أنهم عبيد ، منبوذون ليس لهم أن يرفعوا رأساً .

﴿ أنْ عَبَّدتَّ بني إسْرائيلَ ﴾ ..

أي اتخذتهم عبيداً ، وسخرتهم في اشق الأعمال .. ولم تقف عند ذلك .. فأمرت بذبح أبنائهم .. واستحياء نسائهم ..

كان موسى يشهد هذا كله ، وهو في القصر الملكي .. ولكنه لا يستطيع ان يفعل شيئاً .. إلا أن باطنه كان يغلي بالغضب والثورة على الظالمين .. والعطف والاشفاق على المظلومين ..

وها هو يفاجأ بمنظر زاده غيظاً على غيظ .. ها هو رجل مصري يريد أن يسخّر رجلاً من بني إسرائيل .. وها هو يضربه حتى كاد أن يقتله .. وها هو الاسرائيلي يثور لنفسه المهانة ويحاول أن يدافع عن نفسه ، وتحول الأمر إلى معركة دامية بينهما ، كل يريد ان يقتل الآخر ..

اما المصري فمنطقه .. كيف يجرؤ هذا الحقير ان يعصي له

أمراً ؟!. وأما الاسرائيلي فمنطقه .. إلى متى هذا الذل وهـــذا الاستعبـاد ؟!

« فـاستغاثه الذي من شيعته » فما ان رأى الاسرائيـلي موسى قادماً .. حتى جعـــل يستغيث به .. ليدفع عنه هذا الظلم الفـــادح ..

« على الذي من عـدوه » أن ينصره على هـذا المصري ..

« فوكزه » فثارت ثائرة موسى بمجرد أن سمع صوت اخيه وهو يستصرخـه .

فوكزه ؟! فلكزه في صدره .. بجمع كفه ..

يقـــال : وكزته ، ولكزته ، ونكزته ، ونهزته ، ولهزته .. إذا دفعته .

« موسى » بضربة واحدة ، فيهـا كل الغيظ المكبوت .

« فقضى عليه » فقتله لفوره .

فقضى عليه ؟! أي لا امل البتة في انقاذه او إسعافه، ضربـة قـــاضية ..

إنه .. البطل ، الذي تعده الأقدار ، لحمل الأثقال ، أثقال إنقاذ شعب بأكمله ، من قبضة فرعون وجنوده !

وكان هـذا الحـادث ، إشارة ، إلى هـذا الغيب ..

إن موسى .. سيضرب هذا النظـــام كله .. ويقضي عليه بضربة واحدة !

« قال هذا » هذا الذي حدث ..

« من عمل الشيطان » ما كان ينبغي ان اقتله ، وما كنت اظن انه سيقتـل .

لقد اخذ الندم سبيله إلى موسى ..

« إنه عدُو » إن الشيطان مضاد دائماً للإنسان .. يـدفعه إلى الشر ..

« مُضلٌ » يدفع الإنسان إلى الانحراف .

« مبينٌ » واضح الاضلال ، وواضح العداء للإنسان .

ووقعت المصيبة ..

إسرائيلي .. يقتل مصرياً ؟!

عبد من العبيد .. يقتل سيداً من السادة !

وهاج الشعب المصري وماج ..

وتحولت إلى قضية سياسية ، من أخطر القضايا ..

كيف يجرؤ أحد العبيد ، على قتل احـد السادة ؟!

قـال المفسرون :

« خرج موسى يوماً ، على حين غفلة من اهل المدينة ، فوجد رجلاً مصرياً يأخذ عبرانيـــاً ليسخره في بعض عمله .

« فاستغاث العبراني بموسى ، فجاء إلى المصري ، ووكزه وكزة كانت القاضية

« فواراه الـتراب ..

« ولم يعلم بذلك الأمر سوى الرجـــل العبراني ـ الذي نصره موسى ـ

« وندم موسى على ما فعل ، وقال في نفسه : هذا الذي اتيت من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبـــين .

« وضرع إلى الله ان يتوب عليه ، وألا يجعله ظهيراً للمجرمين ، ونـــاصراً لأهل الشر .

« فلمـا كان اليوم الثاني خرج إلى المدينة ، وهو يخاف افتضاح فعلته التي فعـــل » .

ثم ذكروا :

إن المصريين لما عثروا على قتيل موسي ، ولم يعلموا له قاتلاً ، سبق إلى فكرهم أن بني إسرائيل هم قاتلوه .

• فقالوا لفرعون : ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون !

• فخذ لنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك .

• فقال : ابغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ، لأنه لا يستقيم أن نقضي بغير بينة ، فطلبوا له ذلك .

• فبينما هم يطوفون ولا يجدون .

• اذ مر موسى من الغد ، فوجد ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً ، فاستغاثه الاسرائيلي – وهو الذي من شيعته – على الفرعوني – الذي هو من عدوه –

• فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى .

• وغضب موسى ، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني .

• وفي الوقت ذاته قال للإسرائيلي :

﴿ إنك لغوي مبين ﴾ ..

« فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس ، الذي قتل فيه الفرعوني .

« فخاف الاسرائيلي أن يكون اياه اراد بعدما قال

﴿ إنـّك لغويّ مبينٌ ﴾ ..

« فحاجز الاسرائيلي الفرعوني وقـال لموسي : يا موسي

﴿ أتريدُ ان تقتـُلني كما قتلتَ نفسـاً بالأمس ﴾ ؟!

« وانما قال له ذلك مخـافة ان يكون موسى اياه اراده بقتله .

« فانطلق الفرعوني فـأخبر قومه .

« ورفعوا الأمر الى فرعون .

« بان القاتل هو موسى .

« فأرسل اليه الذباحين .

« في ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه .

« وجاء الى موسى من أقصى المدينة مسرعـاً .

« ليسبق الذين يطلبون موسى من طريق مختصر .

« وأعلمه علم القوم وما دبروا عليه .

« وذلك من فُتون الله له .

ونصح ذلك الرجل الشريف له ان ينجو بنفسه ، ويفارق بلاد

مصر حتى لا تمتد اليه ايديهم بسوء .

« فقبل منه موسى هذه النصيحة الغالية .

« وذهب على وجهه يريد ارض مدين » .

﴿ قالَ ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي انه هو الغفورُ الرحيمُ ..

﴿ قال ربِّ بما أنعمتَ عليَّ فلن أكونَ ظهيراً للمجرمينَ ﴾ .

توبة سريعة .. فـاغفر لي ..

وقبول للتوبة .. فغفر له ..

﴿ فأصبحَ في المدينةِ خائفا يترقّبُ

﴿ فاذا الذي استنصرهُ بالأمس يستصرخُهُ

﴿ قال له موسى إنكَ لغويٌّ مبينٌ ﴾ ..

فزع ، رعب .. المدينة كلها تتحدث ، عن الجريمة ..

مصري قتله أعداء الشعب .. قتله المجرمون بنو إسرائيل !

كيف يجرؤ اولئك العبيد على ارتكاب تلك الجريمة ؟!

هذا هو الحادث الأول من نوعـه ..

لا بد من تلقينهم درساً لن ينسوه !

ولكن مَن القاتل ؟!

من هذا الذي اجترأ على هذه الفعلة الشنيعــة ؟!

خائفاً ؟!

شديد الخوف .. يصل إلى مسامعه غضب المصريين ، وتوعدهم للقــاتل ..

يترقب ؟! يتوقع بين لحظـة واخرى ، أن يكتشفوا أمره .. ويفتكوا به فتكـاً !

إنها جريمة اليوم .. وحديث الساعة ، وثورة شعب ..

وازداد المصريون غضباً لعدم عثورهم على القــاتل .. فصبوا غضبهم على بني إسرائيل جميعـاً .. ولم لا ؟!

اليس القـاتل منهم ؟!

وازداد بنو اسرائيل خوفاً .. ان يتحول هياج المصريين .. إلى محاولة للانتقام منهم جميعـاً ..

والشعوب إذا ثارت .. فقدت عقلها !

والغضب جمرة من النار .. تتقد وتتلهب في جوف بني آدم !

﴿ فلما أن أراد ان يبطِشَ بالذي هو عدُوٌ لهما

﴿ قال يا موسى أتريدُ ان تقتلني كما قتلتَ نفسا بالأمس ؟

﴿ إن تُريدُ إلاّ أن تكونَ جبّاراً في الارض وما تُريدُ ان تكون من المُصلِحين ﴾ ..

موسى يتعرض للفتنة مرة أخرى .. في اليوم التالي للجريمة ..

نفس الرجل الذي استغاثه بالأمس .. وتسبب في ارتكابه القتل يعود فيستصرخه اليوم ضد فرعوني آخر ..

إنه رجل مشاكس ..

﴿ إنك لغويٌّ مبينٌ ﴾ ..

لا يكف عن الشجـار والإجرام ..

وحـــين ثار موسى .. وأراد ان يبطش بالفرعوني .. ظن الاسرائيلي انه إياه يعني بالقتل ..

فصاح :

﴿ يا موسى .. اتريدُ ان تقتُلَني .. كما قتلْتَ نَفْساً بالأمسِ ﴾ ؟!.

والتقطها الفرعوني .. من فم الاسرائيلي .. واكتُشِف أمر القاتل ..

إنه .. موسى !

هو الذي قتل المصري بالأمس ..

وهرع المصري .. وأذاع الخبر ..

وتناقله المصريون جميعاً .. وانتشر على جميع الألسن ..

موسى .. هو القاتل ؟!

هل سيقتله فرعون .. أم سيتغاضى ويغض الطرف ؟!

سوف نرى .. هل ياخذ العدل مجراه .. ام أن فرعون سيكون له موقف آخر .. لأن القاتل هو موسى .. عظيم القصر الملكي .. المحبب إلى زوجة فرعون ؟!

قضية سياسية .. حساسة جداً ..

وضعت فرعون في أحرج موقف سياسي أمام شعبه كله ..

الموضوع واضح تمام الوضوح ..

لا يحتمل تسويفاً .. ولا مخادعة ..

موسى .. هو القاتل ..

ولكن موسى .. ليس من عامة الاسرائيليين .. ولكنه رجل عظيم من عظماء القصر .. له وجاهته وأوضاعه ..

ويزيد القضية خطورة .. أنها قضية عنصرية ..

القاتل .. من بني إسرائيل .. من العبيد ..

والقتيل .. من المصريين .. من السادة !

واشتد هياج الشعب .. وتنادَوْا : الموت لموسى .. الموت لموسى !.

وكان طبيعياً أمام هذا الهياج الشعبي .. أن يامر فرعون باجتماع عاجل لمجلس البلاط .. ومجلس الوزراء .. لإصدار قرار في أخطر موضوع تواجهه البلاد !

ورأس فرعون الاجتماع الخطير ..

ولم يستطع أن يدافع عن موسى .. واضطر أمام إجماع المجلس إلى الموافقة على اعدام موسى ..

وصدر الأمر الفرعوني .. بقتل موسى .. لأنه هو القاتل ..

وبمجرد أن أجمع المجلس على ذلك .. وقبل أن تصل القرارات الفرعونية .. إلى أجهزة التنفيذ .. للقبض على موسى .. وإعدامه ..

تسلل احد عظماء المجلس .. وكان شديد الحب لموسى .. يرى براءته .. لأنه قتَل عن خطا وليس عن عمد ..

وسارع إلى موسى .. وصاح به : موسى موسى ..

فالتفت اليه موسى .. خائفاً يترقب .. كل أنباء سيئة :

﴿ وجاء رجلٌ مِن أقصا المدينةِ يسعى

﴿ قال يا موسى

﴿ إنْ الملأ يأتمرون بك

﴿ لِيقتُلوك

﴿ فاخرُجْ

﴿ اني لك من الناصحينَ ﴾ ..

يَسعى ؟!

يسابق الريح .. ليصل إلى موسى .. قبل أن يصل الزبانية اليـــه ..

يا موسى ؟!

موسى .. موسى .. يكلمه همساً .. لئلا يكتشف رجـــال هامان أمره .

ان المـــلأ يأتمرون بك ؟!. تركتهم وقد أصروا على اصدار الأوامر فوراً .. بالقبض عليك .. تهدئة لثورة الشعب .. لم يعـد أمام فرعون خيـــار .. فموقفه يحتم عليه أن يجاري المجتمعين .. لإجمـــاعهم على ضرورة قتلك .. امام أعـين الشعب كله .. لتكون عبرة لجميع بني اسرائيل .. ألا يفكروا بعدها أن يرفعوا رأساً !.

ليقتلوك ؟! شر قتلة .. ويذبحوك بالسيف .. أمـــام الشعب كله .. ليهدأ الشعب كله !

فاخرج ؟!. الفاء للفورية .. اخرج الآن .. فوراً .. اسرع .. لا تضيع وقتـــاً .. الثواني لها قيمة .. ربما جاءوا الآن .. وأخذوك فوراً ..

وعلى الفور ، وبدون ترتيب ، أو إعـداد ، او تفكير ..

« فخَرَجَ منها » فوراً .. هرب موسى ، من العاصمة ، واختفى في الصحراء ..

« خائفاً » أشد الخوف ، فـــإن أجهزة فرعون ، وعيون هامان .. تطارده في كل مـكان ..

« يترقَّبُ » يتوقع أن يقع في أيديهم .. في أي لحظة ..

ان الشعب كله .. يتهامس : أين موسي ، كيف يهرب من دولة

باكملها ، وكيف يخادع أجهزة هامان ؟!

والأجهزة كلها تطـارده ، على أنـه عدو الشعب الأول ..

هنالك ، كان موسى ، وحده ، بين الصحارى والجبال ..

تطارده دولة باجمعها ، بكل امكانيات المطاردة التي تملكها الدولة الفرعونية العاتية العتيدة ..

هناالك ، تحدى البطل ، كل هؤلاء ..

ونادى من أعماق فؤاده :

﴿ ربِّ نجِّني

من القومِ الظالمين ﴾ !..

الملكة آسية ..

تفقد موسى ..

عشر سنين ..؟!

فرّ الشاب موسى ..

إلى مدين .. حيث لا سلطان لفرعون عليها ..

وكان من أمره فيها ، ما كان ..

ولبث في أهل مدين عشر سنين ..

ثم اشتاقت نفسه إلى أهله بمصر ..

فأخذ يتأهب للعودة اليها ..

هذا عن موسى .. فماذا عن آسية .. وكيف كان حـالها خلال هذه السنين العشر !

أكبر الظن أنها كانت حزينة أشد الحزن ، لفراق موسى ..

فقد كانت تجلس على عرش عظيم ، باعتبارهـا زوجة أعظم ملوك عصرها ، فرعون ملك مصر ..

إلا أنها لم تُرزق من هـذا الملك ولداً .. لأنهـــا لم تنجب منـــه ..

فما ان رأت طفلاً رضيعاً ، يساق اليها فجاة ، حتى أحبتـــه حباً لا تستطيع له فراقاً ..

ونزل ذلك الرضيع من قلبها منزلة الابن المولود منها وزيادة ..

فكان لها عوضاً عن حرمانها الأبدي من النسل ..

وصبّت آسية في هذا الرضيع كل حنـان الأمومة ، وعـاطفة الأنوثة ، المحرومة منها ..

ولا شيء يعـدل الطفل عنـد المرأة .. مهما جاءوهـــا بالأعواض ..

إن بسمة الطفل لامّـه ، تساوي الدنيا ومـــا فيها عنـد الأم ..

إن الامومة غريزة مقدسة ، جعلها الله في قلوب الأمهـات ، رحمة بالأبناء ، وحفظاً لحياتهم ..

فلو خـيّرت المرأة الطبيعية ، بين العرش والمهد ، لاختـارت المهد .. لأن تكوينها وتركيبها .. يتحقق بالطفل بين يديهـــا .. تضمه إلى صدرها وتقبله وتلاعبه وتداعبه وتلاطفه.. وهذا أسعد عندها من مائة عرش وعرش ، فإن العرش قضية لا تعنيها ، وإنما

الذي يعنيها أن يكون لها طفل جميل !!

وآسية ، شأنها كشأن أي امرأة ..

قضيتها أن يكون لها غلام .

ولكن المقادير شاءت ألا يكون لها غلام !

ففي الوقت الذي تجلس فيه على أعظم عرش في زمانهـا ، عرش فرعون العتيد العنيد ذي الاوتاد ..

كانت تشعر أنها لا تساوي شيئاً ، لان أنوثتها لم تتحقق ، لانها لم تلد ..

والملوك يصابون بالهَوَس ، إذا حُرموا من وليّ للعهد ، يرث عنهم عرشهم .

وها هي آسية ، امرأة الملك فرعون ، وملكة البلاد رسمياً .. لا تنجب .. فلا تثريب على فرعون إذا التمس النسل من زوجاتٍ غيرها .. أو حتى من الاماء ، إنه يريد وارثاً يرث هذا المُلك العريض !!

فإذا أضفنا إلى ذلك أن فرعون لم يكن ملكاً وكفى ، بل كان إلهاً ، وربّاً ، ومعبوداً ، وآمراً وناهياً .. إلى آخر هذه الالقاب الزُّور ، أدركنا مدى رغبته الحارقة ان يكون له من هذه

الملكة وارثاً يرثه ويرث من آل فرعون !!

ولكن آسية ، لا تستطيع أن تحقق له رغبتـه !!

من هنا بدأت الملكة تفكر تفكيراً عميقـاً ..

إن جميع الامكانات تحت يديها ..

ما عليها إلا أن تأمر فتطاع ..

ولكن أحداً من هؤلاء جميعـــاً لا يملك أن يجعلها امرأة ولوداً !!

هؤلاء الكهنة ، أولو التراتيم .. هل يملكون لهـا شيئاً ؟!

هذا الفرعون ، زوجها .. هل يستطيع بكل ما يملك أن يمنحها ما تتمنى ؟!

إنه يزعم أنه المعبود الأوحد ، فلماذا هو عاجز عن منحهـا ما تريد ؟!

بل هؤلاء الناس جميعاً ، إنهم يعجزون عن شيء لها !!

إذاً هؤلاء جميعـــاً .. بدءاً من فرعون .. حتى أدنى أفراد الشعب ، باطلٌ ، وَهْمٌ : لا يملكون شيئاً ..

واهتزَّ الوجود كله في أعماقها ، وعلمت هنـــالك أن أحداً لا يملك لها شيئاً ..

إذاً فرعون هذا .. كذّاب ، ليس إلهـــاً .. كما يزعم لشعبه المغفّل ..

إذاً هؤلاء الكهنة ، كذّابون ، مجرمون ، يقـدسون فرعون .. ابقاء على أوضاعهم المرتبطة بتقديس الفرعون .

إذاً هذا الشعب المغفّل ، قد استغفله فرعون ، وأرهبـــه .. فذلّ وخنع خنوع الحمير !!

فأين الحقّ إذن ؟!

لا بد من وجود شيء هو أعلى من هؤلاء جميعاً ..

شيء يُحيي ويميت ..

شيء يهب لمن يشاء إناثاً .. ويهب لمن يشاء الذكور ، ويجعل من يشاء عقيماً ..

شيء يفعل ما يشاء ، ويفعل مـا يريد .

شيء لا سلطان لشيء عليه ، وله السلطان على كل شيء .

هانذا أعجزُ من نملة ، فإن النملة تتناسل .

وأعجز من عصفورة ، فـــإن العصفورة ، تبيض وتفرخ فراخها !!

مـــا أغنى عني هذا الذي أنا فيه ، إنه عـذاب أتعذب به ،

وليس مُلكاً أسعد فيــه !!

فلمّا جاءوها برضيع كأنّ وجهه قطعة قمر ..

أحست نحوه احساس الموشك على الغرق .. يجد فجأة شيئاً ينقذه من الغرق ..

بل واحست أن هذا الرضيع .. وجهه وجه صدق وحقّ ..

وتلاقى نور فؤادها .. مع نور فطرة هذا الرضيع الجميل ..

والأرواح جنود مجندة .. ما تعارف منها ائتلف ..

فصاحت لفورها :

﴿ قُرّتُ عينٍ لي ولكَ ..

لا تقتلُوهُ ..

عسَى أن ينفَعَنا ..

أو نتّخذَهُ وَلداً .. ﴾ !!!

ها هو المحال ، يأتيها فجأة ..

ها هو ولدٌ ، ليس كمثله ولد .

وها هي تُقبّله وتقبِّله ، وتحتضنه وتحتضنه ..

كأنها تريد أن تضع في هذه اللحظة ، حرمان العمر كله ، ان يكون لها ولد !!

فما استطاعت بعد ذلك ، ان يغيب عنها ، وما استطاعت له فراقاً !!

وعادت تفكر : مَن جاءها بهذا الوليد ، حتى وضعه بين يديها ؟!

مَن القى في قلبها محبته فهي لا تطيق أن يغيب عنها !!

ثم لماذا لم يقتله فرعون ، لماذا هذا بالذات يُستثنى !

ثم ما هذا الجمال الذي ليس كمثله جمال ، يتلألأ في محيّاه !!

إنها لم تر قطّ طفلاً بهذا الجمال المعجز !!

مَن صوّره هذه الصورة الرائعة !

مَن صنعه هذا الصنع الذي لا مثيل له !

ثم ما هذا الاحساس الذي لا تستطيع له تفسيراً ، ما رأى أحد هذا الطفل إلا جُنَّ به حبّاً !

إني أحس أنَّ قوة خارقة تدفعني إلى هذا الطفل دفعاً ، فما هي هذه القوة التي لا أستطيع مقاومتها !!

وهكذا .. مَلَك موسى على آسية فؤادها ..

فبينما أصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً .. أصبح فؤاد آسية مزدحماً بمشاعر الحبّ والأنس والبهجة والاعجاب !!

كانت كلما نظرت اليه ، كانما تنظر إلى جمال الف طفـل ، جُمِع فكان في هذا الطفل !!

وكانت كلما اشتاقت اليه .. كانـما جُمِع شوق الف حبيب .. جُمِع فكان شوقها اليه !!

فزادها ذلك حُبّاً على حُبٍّ .. لهذا الرضيع الجميل الاخّاذ الجذّاب !!

إلا أنها لا تدري سر ذلك كله !!

وسرُّ ذلك كله ، أن الذي بيده مفاتيح القلوب ، قد القى في قلبها ، أمواج قوله سبحانه :

﴿ والقَيْتُ عَليْك محبّة منّي

ولِتُصْنَع على عيْني .. ﴾

كل ذلك ، يفسر لك تفسيراً ..

ماذا كان شعور آسية حين غاب عنها موسى ، عشر سنين ،

غابها في أهل مدين ..

كانت تريد ان تنعم به ابناً لهـا ، وقد صار رجلاً ، لا يدانيه احد من الرجال ..

فحيل بينها وبينه .. عشر سنين ..

لا تراه .. ولا يراها ..

وقد كانت .. لا تطيق ان يغيب عنها ساعة !!

عشر سنين . لا ترى موسى .. ابنها الحبيب ..

ولا تستطيع أن تراه !!

وحِيل بين الامّ .. وابنها ..

وقيل .. فراق !!

« فجاءة ..

إحداهما ..

تمشي على استحياء » ؟!

العظمة الموسوية ..

لا نستطيع التحليق إلى مستواها ، إلا إذا تصورنا ، أننا أمام ، كليم الله ..

بطل ، ولكن ليس كمثله بطل ..

شخصية عالية علواً بعيداً ، بعيداً ..

نادى ربه :

﴿ ربّ نجني منَ القومِ الظالمين ﴾ !

فاستجاب له ربه فوراً :

﴿ لا تخفْ نجوْتَ منَ القومِ الظالمين ﴾ ؟!

ونادى ربه :

﴿ ربّ اني لِما انزلتَ اليّ منْ خيرٍ فقيرٌ ﴾ !.

فاستجاب له ربه فوراً :

﴿ فجاءته احداهما تمشي على استحياء :

﴿ قالت : إن أبي يدعوك

﴿ ليجزيك اجر ما سقيت لنا ﴾ ؟!

قبل ، أن يتم دعاءه .. وقعت الاستجابة !!

وما ظنك والداعي ، كليم الله !

اللهم صل وسلم ، على نبينا ..

اللهم صل وسلم ، على موسى !

ثم ماذا !..

ثم نقول :

صب الخوف كله ، حول موسى ، وهو يفر على غير ترتيب ، في صحراء مصر الشاسعة ، متجهاً نحو الحدود الشرقية ..

موقف ، من أعلى أعالي قمم البطولة ..

رجل ، فرد .. تطارده دولة جبارة رهيبة ..

على رأسها فرعون ، ومن ورائه هامان ، صاحب الأجهزة

الجهنمية .. من المخابرات وادوات التنكيل والتعذيب !

ومن ورائهم .. جيش عظيم العدة والعتاد ..

وشرطة ها هنا ، وهناك .

ومن وراء هؤلاء الجنود جميعاً ، شعب هائج ثائر ، يتنادى : أين موسى .. أين موسى .. الموت لموسى .. الموت لموسى !

تجد الاشارة إلى جبروت الدولة آنذاك في قوله تعالى :

﴿ وَنُرِيَ فرعون وهامان وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرُونَ ﴾ .

فرعون ؟! هذا الرهيب .. الجبار ..

وهامان ؟! هذا الخطير غاية الخطورة .. تكفي الاشارة منه .. فيقتل من شاء .. ويسجن من شاء .. ويعذب من شاء ..

وجنودهما ؟!.

ها هنا مفتاح من أخطر مفاتيح تحليل تلك الدولة الجبارة .

جنودهما ؟! أي اجهزة فرعون الخاصة به .. واجهزة هامان التي تتبعه هو رأساً ..

دولة قائمة على المخابرات ..

للقصر مخابراته الخاصة .. التي تتبعه رأساً .. وتأتمر بأمر فرعون رأساً ..

وهامان .. له مخابراته التي تتبعه رأساً ، وتأتمر بأمره .. وإن كانت كلها في خدمة الرأس العليا .. فرعون ..

دولة بوليسية رهيبة .. وهذا شأن كل دولة ديكتاتورية ..

هذه هي الدولة الرهيبة ، التي تطارد بكل إمكانياتها .. موسى .. الرجل الفرد .. الذي لا يملك أن يستقر لحظة ليستريح !

وتلك هي البطولة .. في أعلى مراتب البطولة !

﴿ وفتنّاك فتوناً ﴾ ..

زلزلناك زلزالاً .. من بعده زلزال .. من بعده زلزال !

والقيناك في بحر البلاء .. تقلبك أمواج كالجبال ..

لماذا نضعك في تلك المواضع الرهيبة ؟

لأنك تُصنع صناعة خاصة يا موسى ..

﴿ ولِتُصنع على عَيْني ﴾ ؟ .

نلجئك إلى تلك الزلازل .. ونضطرك إلى مصارعـــة تلك الأمواج .. لتخرج منها .. بطلا .. مدربا على مصارعة الملايين .. وحده !

وها هو موسى .. وحـده ..

يصارع دولة .. وشعبا وحده ..

﴿ وفتناك فتونا ﴾ ..

وصهرناك .. في نار البلاء ، صهراً من بعده صهر ، من بعـده صهر ، لتخرج نقياً على أعلى أعالي النقاء والصفاء !

ذلكم موسى .. وهذه قطرة من بحار تربيته ..

﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ ..

ثم ماذا ؟.

ثم فشلت فشلا تاما .. أجهزة فرعون وهـامان .. ان تقبض على موسى ..

واجتاز موسى .. حدود الدولة المصرية الشرقية ..

ودخل إلى أرض مدين .

وقد تمزقت ثيـــابه ، وتخرقت نعلاه ، ونحل بدنه ، وبلغ به الإعياء منتهاه ، والجوع أقصاه ..

لقد مكث أياما ولياليها ، يقطع الجبال والقفار ، بلا مأوى وبلا طعام أو شراب ..

وكان أول ما فكر فيه ، أن يبحث عن مـاء .. ليطفىء من عطشه الشديد .

﴿ ولمَّا توجَّه تِلقاء مَدْيَنَ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيلِ ﴾ ..

« توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيره ، بل خرج على الفتوح ، وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه ربه إلى النحو الذي هو خيرٌ له ، فقـــال : عسى ربي أن يهديني إلى أرشد سبيل لي [1] » .

﴿ ولمَّا ورد ماء مدْيَنَ وجدَ عليه أُمَّةً منَ الناس يسقون ووَجَدَ من دونِهمُ امرأتين تذودانِ ﴾

---

(١) نقلا عن « لطائف الاشارات » . للامام القشيري .

﴿ قال ما خطبُكُما ؟

﴿ قالتا لا نسقِي حتى يُصدِر الرّعاءُ

﴿ وابونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ ..

قال صاحب اللطائف :

« لما وافى مدين شعيب كان وقت الهاجرة ، وكانت لهم بئر يستقون منها ، فيصبون الماء في الحياض ، ويسقون أغنامهم ، وكانوا أهل ماشية .

« وكان شعيب النبي عليه السلام قد كُفَّ بصره لكثرة بكائه .

« ففي القصة أنه بكى فذهب بصره ، ثم رد الله عليه بصره فبكي ، فرد الله بصره فبكى حتى ذهب بصره ، فأوحى الله اليه : لم تبكي يا شعيب ؟. إن كان بكاؤك خوف النار فقد أمنتك ، وإن كان لأجل الجنة فقد أتحتها لك .

« فقال : ربِّ .. إنما أبكي شوقاً اليك .

« فاوحى الله اليه : لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر حجج .

« وكانت لشعيب أغنام ، ولم يكن لديه أجير .

• فكانت بنتاه تسوق الغنم مكان الرعاة .

• ولم يكن لهما قدرة على استقاء الماء من البئر .

• وكان الرعاة يستقون ، فإذا انفضوا فإن بقيت في الحوض بقية من الماء اسقت بنات شعيب .

• فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك ورآهما يمنعان غنهما عن المـــاء رق لهما قلبه .

• وقال : ما خطبكما ؟

• فقالتا : « لا نسقي حتى يصدر الرعـاء وأبونا شيخ كبير » وليس لدينا أجير .

• فلمـا انصرف الرعاة سقى لهما .

• ثم تولى إلى ظل جدار بعد ذلك .

• كان الجوع قـد اصابه خـلال سفره ، ولم يكن قد تعود قط الرحلة والغربة ، ولم يكن معه مـــال ، فدعا الله ..

﴿ فسقَى لهما .

﴿ ثم تولّى الى الظلّ فقالَ :

﴿ ربّ اني لما انزَلتَ اليّ من خيرٍ فقيرٌ ﴾ ..

« قيل طلب قوة تزيل جوعه .

« وقيل طلب حالاً يستقل بهـــا .

« والأحسن أن يقال جاع فطلب كسرة يسد بهـــا رمقه .

« والمعرفة توجب سؤال مـــا تحتاج اليه من الله قليلاً أو كثيـراً .

« فلما انصرفت ابنتا شعيب خرج شعيب إلى ظاهر الصحراء على طريق الماشية ليمسها بيديه .

« فوجد أثر الزيادة في تلك الكرّة ، فسألهما فذكرتا له القصة ، وما سمعتـا منه حين قال :

﴿ ربِّ إني لما أنزلْتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ ﴾

« فقال شعيب : إذاً هو جائع .

« وبعث إحداهما لتدعوه » ..

﴿ فجاءته إحداهما

﴿ تمشي على استحياءٍ

﴿ قالتْ إن أبي يدْعوكَ ليَجزيَكَ أجْرَ ما سقيْتَ لنا

﴿ فلما جاءهُ وقصَّ عليهِ القصَص .

﴿ قال لا تخفْ نجوْتَ منَ القومِ الظالمينَ ﴾ ..

• قيل إنما استحيت لأنها كانت تخاطب من لم يكن لهـــا محرمـــاً .

• وقيل لما دعته للضيافة تكلمت مستحيية ـ فالكريم يستحي من الضيافة

• ويقال لم تطِب نفس شعيب لمـــا أحسن موسى اليه وأنه لم يكافئه ، وإن كان موسى لم يُرد مكافئة منهم .

• ـ فلمـــا جاءه وقص عليه القصص ـ لم يقل : فلمـا جاءه قـدّم السُّفرة ، بل قال : وقص عليه القصص .. وهذا طرف من قصتـه .

• ويقـال . ورد بظاهره ماء مدين ، وورد بقلبه موارد الأنس والرُّوح .

• والموارد مختلفة ، فموارد القلب رياض البسط بكشوفـــات المحاضرة فيطربون بأنواع الملاطفـة .

• وموارد الارواح مشاهدة الارواح ، فيكاشفون بأنوار المشاهدة ، فيغيبون عن كل احساس بالنفس .

• وموارد الأسرار ساحات التوحيد .. وعند ذلك الولاية لله ،

فـلا نفس ولا حس ، ولا قلب ولا أنس .. استهلاك في الصمدية وفناء بالكلية !

• ويقال كانت الاجنبية والبعد عن المحرميـة يوجبـان إمساكه عن مخـاطبتهما ، والاعراض والسكون عن سؤالهما .. ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقـــة بالسر استنطقه حتى سالهما عن قصتهما .

• ويقال : لما سالهما وأخبرتا عن ضعفهما لزمه القيام بامرهما ، ليُعلم أن من تفقّد أمر الضعفـــاء ووقف على موضع فاقتهم لزمه إشكاؤهم .

• ويقال من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ، وكان مقتضى الرفق أن يطعموه ، ولكنـــه قبض القلوب عنه واستقبله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً ، لأن الصخرة التي نحّاها عن رأس البئر ـ وحده ـ كان ينقلهـــا أربعون رجلاً ، فلما عَمِـل عَمَـل أربعين رجلاً ، تولّـى إلى الظل ، وقال : ان رأيت ان تطعمن بعد مقاساة اللتيا والتي .. فذلك فضلك !

• قال ذلك بلسان الانبساط ، ولا لسان أحلى من ذلك .

• وسُنة الشكوى أن تكون اليه لا منك .. بل منه اليه .

« ويقال : توّلى إلى ظل الأُنس ورَوْح البسط واستقلال السر بحقيقة الوحود .

« ويقال قال :

﴿ ربِّ إني لما أنزلتَ اليّ من خيرٍ فقيرٌ ﴾

« فزدني فقراً ، فإن فقري اليك يُوجب استعانتي بك » .

ثم ماذا ؟!. ثم نقول : هذه لطائف .. صاحب اللطـــائف .. في الآيات !

فماذا هناك من شعشعانيات ؟!

هناك مشاهد .. جمالها عجيب ..

شاب على غاية من القوة .. ظاهراً .. وباطنـــاً ..

يتحدى دولة بكل أنواع التحديّ ..

ويجتاز الحدود .. ويدخل إلى أرض بلاد مجـــاورة .. لا سلطان لفرعون عليها ..

يدخل تلك البلاد .. وهو في أشد الحاجة .. إلى الماء والطعام .. والمـاوى .. والامن والاستقرار ..

ولكن أنّـى له ذلك !

رأى من بعيد .. جماعة غفيرة من الناس يتزاحمون .. فأدرك أنه بئر مــــاء ..

فتوجه اليه .. ليشرب !

إلا أنه فوجىء بقانون الغاب .. يحكم هؤلاء المتزاحمــين ..

الاقوياء سقوا أغنــامهم .. وتفرقوا .. وأغلقوا البئر .. ألقوا عليه حجراً غليظاً .. تنوء بحمله عشرات الرجال ..

ووقفت فتاتان طيبتــان .. حيِّيتان .. لا تدريان مــــاذا تفعلان !!

هنالك .. تلألأ الفتى موسى ..

وتجلت منه .. صفاته العليا ..

الثورة للضعفاء .. والثورة لنصرتهم ..

﴿ **ما خَطبُكُما** ﴾ ؟

إعجاز .. عجيب

يريد ان يقول لهما : لماذا ترتبكان .. لماذا تبكيان .. لمــــاذا تضطربان .. لماذا لا تستطيعان سقي أغنامكما ؟

هو يعلم الجواب .. ولكن يريد أن يستفتح غوثهما ..

« قَالَتَا » كما هي عادة النساء .. يتكلمن جميعاً .. بلا ترتيب .. كل منهن تريد أن تتكلم !

« لا نسْقي » لا نستطيع أن نسقي أغنامنا .

« حتى يُصدِرَ الرعاءُ » يرجعوا بمواشيهم .. ويخلو المكان منهم .. لا نستطيع مزاحمة الرجال .. ولا أحد يلتفت إلى مشكلتنا !

« وأبونا شيخٌ كبيرٌ » لا يُطيق أن يسقي .. وإنما نسقي من فضلات المواشي !

فماذا كان من الفتى ؟!

تشعشعت منه إشعاعات البطولة والفتوة فوراً ..

نزع الحجر الغليظ وحده ..

« فسقَى لهما » الفاء للفورية .. فوراً سقى لهما جميع أغنامهما !

ورأت الفتاتان لأول مرة .. خُلقاً عظيماً .. لا عهد لهما بمثله !

ثم ماذا ؟. لم ينتظر منهما جزاء ولا شكوراً ..

وإنما فعل ما فعل .. كأنه لم يفعل شيئاً مذكوراً ..

ثم ماذا ؟!

« ثم تولى » ثم توجه بعيداً عنهما .. وهـــذا ُخلُق رفيع آخر ..

لم يتلبث عندهما . وإنما تولى عنهما ..

« إلى الظِّلّ » إلى ظل بعيد .. ظـل شجرة .. من أشجـار الصحراء ..

هنالك .. والجوع ُيلصق أمعاءه بعضهـا ببعض ..

هنالك .. حيث لا يفطن أحد اليه ..

هنالك .. ناداه ..

﴿ ربّ ..

« إني .. لما أنزَلتَ اليّ .. منْ خيرٍ .. فقيرٌ ﴾

هذا مقام .. الافتقار !

ومن قبل .. كان في مقام الانكسار .. حين قتـــل نفساً .. ودخل في غم شديد ..

﴿ فنَجّيْناكَ من الغمّ ﴾ ..

ومن قبل .. كان في مقام الاضطرار .. حين اضطره اضطراراً

أن يفرّ .. وهو خائفاً يترقب ..

﴿ فَخَرَجَ منها خائفا يتَرَقّبُ ﴾ ..

وها هو الآن .. في مقام الافتقار « فقيرٌ » !

ناداه .. من افتقـاره .. ومن انكساره .. ومن اضطراره ..
فلنِعم المجيبون !.

« فجاءتهُ » فوراً .. وهو في الظل .. عـــادت اليه فوراً ..

« إحدَاهما » إحدى الفتاتين ..

« تمشي » اليه .. وهذه مفاجأة أخرى ..

« على استحياء » وهي في منتهى الحياء والخجل والاضطراب .

« قالت » لموسى .. الذي يجلس وحده في الظـل .. يتضرع
جوعـــاً ..

« إن أبي يَدْعوكَ » لتحضرَ اليه فوراً ..

ثم ماذا ؟!.

سارت الفتاة .. وسار موسى من ورائهـــا .. فجعلت الرياح
تكشف عن مفاتنها .. وهي تضطرب مسرعة في استحياء ..

ها هنا .. تلألأ من موسى .. خُلق رفيع آخر ..

أمرها ان تسير خلفه .. وهو أمامهـا .. وتدله على الطريق ..

مـــا هذا ؟! هذا ترتيب عجيب .. هذه ِخطبة .. لتراه ويراهـا ..

ولتعلم هي من صفاته ..

وليعلم هو من صفاتها ..

إن الله .. يوجه موسى .. إلى ِخطبتها .. ويوجهها إلى خطبته وهما لا يشعران !.

وتلك ِمنَّة أخرى .. على موسى ..

انه يريد مجرد لقمة .. يسد بها جوعته ..

فتأتيه فوراً .. عروس جميلة .. تدعوه بنفسها إلى أبيهـا ..

لينقلب .. الخائف .. الطريد .. الشريد .. الجـــائع .. الغريب ..

إلى عريس .. ينعم بالحب والحنـان .. وينزل في أكرم بيت في مدين ..

ويتزوج أكرم النساء .. وأجملها .. وأطيبها !

فكيف كان ذلك ؟!

﴿ أريدُ

أنْ أُنكِحَكَ ..

إحدى ابنتيَّ ﴾ ؟!

دخل موسى ..

فوجد في انتظاره مائدة .. عليها أطايب الطعـام ..

ويجلس على رأسها ، شيخ كبير .. في وجهه أمارات العظمة .. ودلائل الكرم ..

قال الشيخ وهو يرحب بضيفه العظيم : الطعام أولاً ، ثم نتحدث ما شئت ونحن على الطعام ..

وجعل موسى .. يأكل .. ولكن في زهد الأنبيـــــاء ، رغم جوعه الشديد !

والشيخ ينظر اليه في إعجاب ..

إنه ينظر إلى نبي !

والأنبياء .. لهم إدراك غير إدراك البشر أجمعين !

قال الشيخ : ما قصتك أيها الفتى الكريم ؟

فانطلق موسى .. يقص عليه القصة من أولها إلى آخرها ..

منذ ان التقطه آل فرعون .. إلى عودته إلى أمه .. إلى تربيته في قصر فرعون .. إلى خروجه إلى المدينة .. إلى قتله للفرعوني على غير عمد أن يقتله .. إلى الحكم باعدامه .. إلى فراره من مصر كلها .. ومطاردة الدولة له بعيونها وجنودها .. إلى دخوله أرض مدين .. إلى ما كان من تأثره البالغ حين وجد ابنتيه « امرأتين تزودان » تمنعان غنمهما أن يردوا الماء .. إلى دعوة ابنته له .. حتى تلك اللحظة التي هو فيها ..

﴿ فلما جاءَهُ وقصَّ عليهِ القَصَصَ ﴾ ..

كل القصص .. كل ما كان وما حدث له من وقائع وظروف ..

واستمع الشيخ اليه في انصات تام ، وعلم أنه أمام شخصية عظيمة .. أمام بطل سوف يكون له شان عظيم ..

ثم قال الشيخ لموسى : اهدأ يا بُني .. واطمئن تماماً .. فلا سلطان لفرعون عليك بعد الآن .. وانزل في ضيافتي .. وفي جواري .. فأنا شيخ هذه البلاد ..

قال موسى : وهؤلاء من ورائي ؟

قال الشيخ :

﴿ لا تخفْ .. نجوْتَ مِنَ القَوْمِ الظّالِمِينَ ﴾ .

حتى هنا .. نعمة جليلة .. من الله على موسى ..

أمن .. طعام .. مأوى .. ثم صحبة شيخ عظيم .. كبير .

مِنن عظيمة .. ولكن هناك مِنن أخرى ، قادمة اليه ..

أوجست الفتاة التي دعته .. أن تنقضي الضيافة .. ويذهب الفتى لشأنه .. وتفلت الفرصة .. وتعود هي وأختها إلى سقي الغنم .. ومعاناة المشقة اليومية في تلك المهمة الصعبة ..

فألقت باقتراحها الرائع إلى أبيها :

﴿ قالتْ إحدَاهُما

﴿ يا أبتِ استأجِرْهُ

﴿ إنّ خيرَ مَن استأجَرْتَ القويُّ الأمينُ ﴾ ..

وكانت قنبلة فجّرتها الفتاة الرائعة ..

وفكر الشيخ الكبير : إنه لرأي سديد ..

أن نستأجر هذا الشاب القوي .. ليقوم برعي الأغنام وسقيها ..

ويحفظ بذلك ماء الوجه من بناتي .. فلا يتعرض للأذى ..

ثم تطورت الفكرة .. إلى فكرة أحكم .. فيها دهـــاء الشيخ ..

لِم لا يزوجه إحدى ابنتيه هاتين ؟

فيربح ربحين .. ربح الأجــير الذي يعمل له ..

وربح تزويج ابنته من شاب عظيم !

« قالتْ إحداهما » هي نفس الفتاة التي دعته إلى أبيها ..

« استأجرْهُ » سارع إلى استئجاره .. ولا تضيع وقتاً .. فلربما تركنـــا في أي لحظة ..

« إن خــيرَ » إن أحسن ..

« مَنَ استأجرْتَ » من استعملت في اعمالك وأمورك ..

« القويُّ » القـــادر على تبعات العمل .. الصابر على مشاق التعب ..

« الأمينُ » الذي لا يخون ولا يغدر ، وإنما هو على مـا أئتمن عليه حفيظ ..

فزع الشيخ .. أنّـى لهذه معرفة صفات هذا الشاب !

قال لابنته : كيف عرفت ذلك . ؟!!

قالت : أما قوته ، فحين نزع وحده الحجر الذي على البئر .. الذي لا يقدر على نزعــه الكثير من الرجــال ولو اجتمعوا له .. وأما أمانته فحين جاء معي اليك .. ورأى ما تفعل الرياح بثيابي ، فامرني ان استأخر ويستقدم هو امامي حتى لا يراني !

هنالك .. تفاعلت الفكرة في رأس الشيخ الكبير .. وفــاتح موسى :

« قال :

﴿ إني أريد ان أنكِحكَ إحدَى ابنَتيَّ هاتينِ ..

﴿ على أن تأجُرَني ثماني حِججٍ ..

﴿ فان أتممتَ عشْراً فمِن عندِك

﴿ وما اريدُ أنْ اشُقَّ عليْكَ

﴿ ستجـــدُني إن شاءَ اللهُ منَ الصالحينَ ﴾ !..

« إني أريد » إني أرغب رغبة شديدة .. وعزمت عزمـــاً أكيـــداً ..

« أن أنكحك » ان أزوجك .

« إحدى ابنتيَّ » واحدة منهما .. اختر مَن شئت ، إما هذه .. وإمـــا هذه ..

« هاتينِ » وأشار الشيخ إلى ابنتيه ، الحـــاضرتين معهما ..
وترك لموسى الاختيار !

« على » شرط واحد ..

« ان تأجُرَني » ان تثيبني من تزويجكما ، رعي ماشيتي ..

« ثمانيَ حجَجٍ » ثمـــاني سنوات .

« فإن أتممتَ عشراً » فإن عملت لي عشر سنوات .

« فمِن عندِك » ليس إلزاماً عليك .. وإنمـا تفضلاً منك ..

« ومـا أُريد ان اشقَّ عليك » بإلزامك بالوفـــاء بالعشر سنين ..

« ستجدني إن شاء الله من الصالحين » .. في حسن الصحبة ، والوفاء بما قلت ..

وكان عرضاً جميلاً ، تلقفه موسى ، وقبله على الفور .

واختار موسى .. منهما ، تلك التي دعته إلى أبيها ..

حيث كانت الخِطبة بينهما .. قد وقعت ..

وحيث عبّرت عن إعجابها به بقولها :

﴿ القويُّ الامينُ ﴾ ..

والإعجـــاب .. اول الحب !

واعلن موسى .. فوراً .. قبوله الزواج من التي اختـــارها .. ورحّب بذلك ترحيباً عظيماً ..

ثم اعلن قبوله لما اشترطه الشيخ :

﴿ قالَ ذلكَ بيني وبينَكَ

﴿ أيمّا الأجلَين قضيتُ فلا عُدوانَ عليّ

﴿ واللهُ على ما نقولُ وكيلٌ ﴾ ..

« قال » موسى .. مجيباً له .. راغبـــاً لقبول ما القاه من الكلام ..

« ذلك » الوقت الذي عينته ملزماً لي اولاً ..

« بيني وبينك » معهود ثابت مقرر معقود عليـه .. كما أمرتم وحكمتم .. والذي قلتم ثانياً تبرع مني ان قدرت على اتيانه بتوفيق الله وتيسيره .. كما قررتم انتم أيضاً ، وبالجملة ..

« أيما الأجلين » يعني اجل الالتزام .. او أجل التبرع ..

« قضيتُ » يقع المعهود بلا تردد ..

« فلا عدوان » ولا تعدي .. ليس لك ان تتعدى على مطالبتي

باكثر منه .

« عليّ » بعد انقضاء كل واحد من الأجلين ..

« والله » الشهيد .. المطلع على عموم احوال عباده ..

« على ما نقول » من المشارطة والمعاهدة .

« وكيل » حفيظ .. يحفظها على وجهها ، أو شهيد على اتفاقنا ..

وهكذا ، تزوجها موسى ، على صداق ، ان يعمل لشعيب .. ثماني سنوات .. او عشر سنوات !

وكان عقد نكاح ، اجتمع فيه ، الخير والبركة ، للطرفين ..

الطرف الأول .. الشيخ الكبير .. ربح كثيراً ، ضمّ إلى الأسرة قوة جديدة ، على مدى عشر سنين ..

شاب عملاق .. قوي ، امين ، فارس ، مقدام ، لا يهاب الخطوب ، ولا تزلزله الأحداث ..

ومهنة الرعاة .. احوج ما تكون إلى الأقوياء الشجعان ..

وربح الشيخ .. زوجاً كريماً ، لابنته ..

وربح اعفاء ابنتيه من الحرج ، حين كانتا تضطران إلى رعي الأغنام .. وسقي الماشية .. وهو عمل لا طاقة للنساء بأدائه ..

واما الطرف الثاني ، موسى .. فكان ربحه وفيراً ..

تحوّل الشاب ، الطريد ، الشريد ، الخائف ، المترقب ، الغريب الذي لا يعرف احداً ولا يعرفه احد ، ولا يجد طعاماً ولا شراباً .. ولا ماوى ولا امنـاً ..

تحوّل في لحظة .. إلى صاحب بيت ، وزوج لابنـة الشيخ .. وصهر له ..

ينزل من البيت حيث يشاء ، في أمن تام .. وإكرام وتكريم ..

وهكذا ناداه ..

﴿ ربِّ إني لما أنزلتَ اليّ مِنْ خيرٍ فقيرٌ ﴾ ..

فاستجاب له ربه :

﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياءٍ ﴾ !.

وفاجاه الشيخ ، بما لم يخطر على قلبه :

﴿ أريدُ ان أنكحَكَ .. إحدى ابنتيَّ هاتينِ ﴾ !

منّة اخرى !

﴿ ولقد مننّا عليكَ مرةً أخرى ﴾ !.

وعاش موسى عشر سنين .. في صحبة شيخ كريم ..

يربيه ، ويهديه ، ويرقيه ، ويعلمه ..

﴿ وأبونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ ..

شيخ كبير ، يتتلمذ على يديه ، موسى ، ويتعلم منه الكثير ، على امتداد عشر سنين ..

وهكذا نزعه من قصر فرعون نزعاً ..

وأخرجه من مصر إخراجا ..

والقاه إلى الشيخ وهو لا يدري !

فأبدله من صحبة فرعون .. صحبة شيخ عظيم ..

بعد أن أطلعه على حياة فرعون .. ومفاسد قصوره ..

نقله إلى حياة شيخ عظيم ، لينهل من سلسبيله ..

أما فترة حياته مع فرعون .. فحكمتها أن يكون على إلمام تام باحوال غريمه .. حتى إذا جاءت لحظة الصراع ، كان موسى مؤهلاً القاء فرعون !

﴿ يا موسى ..

إني أنا اللهُ ..

ربُّ العالمين ﴾ ..؟!



أشهـــد ..

أني ظلمت نفسي ، ظلما كثيراً ..

إذ يممت وجهي ، إلى الأنبياء ، لأكتب عنهم ..

إنهم لا يُدرَكون ، ولا يحاط بهم ..

ولا يُعلمون ، ولا نعلم عن حقائقهم شيئا مذكوراً ..

فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ..

اقرر ذلك ، تقريراً لعجزي وضعفي وقلة حيلتي ، وأنا أمام أمر جسيم عظيم كريم خطير ..

أمام اجمل لحظـة ، وأعلى لحظة ، واخطر لحظة ، من حيـاة موسى ..

امام اجمل مفاجاة ، وأسمى مفاجاة ، وأحلى مفاجاة ..

أمـام أعظم مِنَّة .. واضخم مِنَّـة .. وأكبر مِنة .. على موسى !

احاول تصويرها ، فلا استطيـع ..

واحاول إدراكها ، فأرتد خاسئا وانا حسير !

فباسمك اللهم ، ابدأ .. وعليك أتوكل ..

قال تعالى :

﴿ فلَبِثتَ سِنينَ في أهلِ مَدْيَنَ

ثم جئتَ على قدَرٍ يا موسى ﴾ ..

لبث موسى في اهل مدين ، عشر سنين ..

حياة هـــادئة ، بسيطة ، على الفطرة ..

ثم اشتاق موسى إلى ارض الوطن ، وإلى اهله بمصر .

فخرج من مدين ، ومعه زوجه ، وأولاده .. والأغنـام التي وهبها له الشيخ الكبير .

وسارت القافلة الصغيرة في صحراء سينـاء ، ووجهتها مصر ..

وفي ليلة شاتية ، رياحها عاتية ، وبردها زمهرير ، ضل موسى طريقه وسلك طريقـا غير الطريق السوي ..

ثم كانت الشدة ان امرأتـه ، فاجأها الطلق ، وجعلت تعـاني آلام الولادة .

فاشتد الأمر على موسى ، وجعل يبحث عن سبب من اسباب الدفء في تلك الظلمات الشديدة ، والعواصف الرهيبة ، فلم يجد شيئا يسعفه في هذا السبيل !

وفجاة ، رأى ناراً ، على بُعد ، تتوقد وتتوهج !

﴿ وهل أتاكَ حديثُ موسى ..

﴿ إذ رءا ناراً فقالَ لأهلهِ امكثُوا إني آنستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بقبَسٍ أو أجِدُ على النار هُدىً ﴾ ..

« وهل اتاك » وقد ثبت وتحقق عندك ..

« حديث » أخيك ..

« موسى » الكليم .. وقصة انكشافه من النـــار التي احتاج اليها هو واهله ، في الليلة الشاتية المظلمة ، اذكر يا أكمل الرسل وقت ..

« إذ رأى » موسى ..

« ناراً » مطلوبة له لدفع البرودة .. ولوجـدان الطريق في الظلمـة ..

« فقال لاهله » المحتاجين اليها في تلك الليلة .

« امكثوا إني آنست ناراً لعلّي » أوانس عندهـا مع إنسان استخبره عن الطريق ، وعن رجوعي نحوكم ..

« آتيكم منها بقبس » جـذوة نار تصطلون بها ..

« أو » اتخذ منها سراجاً .

« اجد على النار هدى » اي مع السراج المسرجة هدى ، طريقا موصلاً إلى مطلوبنا .

وفي سورة القصص :

﴿ فلما قضَى موسى الأجَلَ وسارَ بأهلِهِ آنسَ مِن جانب الطُّورِ ناراً قال لأهلِهِ امكُثوا إني آنَستُ ناراً لعلّي آتيكم منها بخَبر اوْ جَذْوَةٍ من النار لعلّكم تصطلونَ ﴾ ..

قال صاحب اللطـائف :

« مضت عشر حجـج ، واراد موسى الخروج إلى مصر .

« فحمل ابنة شعيب ، وسار باهله متوجهـا إلى مصر .

« فكان اهله في تسييره ، وكان هو في تسيير الحق .

« ولما ظهر ما ظهر بامرأته من أمر الطلق استصعب عليـه

الوقت .

• وبينـــا هو كذلك إذ آنس من جانب الطور ناراً ـ أي ابصر ورأى ـ

• فكأنه يشير الى رؤية فيها نوع أنس .

• وان الله اذا اراد امراً اجرى ما يليق به .

• ولو لم تقع تلك الحالة لم يخرج موسى عندها بايناس النار .

• وقد توّهم ـ اول الأمر ـ ان ما يستقبله في ذلك الوقت من جملة البلايا .

• ولكنه كان في الحقيقة سبب تحقيق النبوة .

• فلولا أسرار التقدير ـ التي لا يهتدي اليها الخلق ـ لما قال لأهله :

﴿ امكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بخبر ﴾ .

• ويقال : ألاح له ناراً ، ثم لَوَّحَ له نوراً ، ثم بدا مـا بدا ، ولا كان المقصود النار ولا النور .

• وانما سمع نداء :

﴿ إني انا الله رب العالمين ﴾ ..

والآن .. ندخل الى ما تتبشبش له القلوب ، وتهش له الأفئدة .

ويقف العقل امامه ، مشلولاً مغـلولاً !

﴿ فلما أتاها نوديَ يا موسى

﴿ اني أنا ربُّكَ

﴿ فاخلعْ نعليْكَ

﴿ إنك بالوادِ المقدّس

﴿ طُوى ﴾ ! ..

« فلما اتاها » فلما أتى موسى النار مسرعـــا ، ليرجع اليهم سريعا .

« نودي » من جانب الشجرة الموقدة عليها النار ، ليقبل اليها ، وينكشف منها السر ..

« يا موسى » المتحير في بيداء الطلب ، اطلبني من هذه الشجرة الموقدة ، ولا تستبعد ظهوري فيها ، حتى انكشف لك منها ..

« إني » وإن ظهرت على هذه الصورة المطلوبة لك ظاهراً ..

« انا ربك » ومطلوبك الحقيقي حقيقة ، الذي قد ربيتك بأنواع اللطف والكرم وابتليتك بأنواع البلاء في طريق المجاهدة ، لتوجه

إليّ فتعرفني ، فالآن قد ارتفعت الحجب والقيود ، وتحققت بمقام الكشف والشهود ..

« فاخلع نعليك » واسترح عن الطلب ، بعد وجدان الأرب ، وتمكن في مقعد الصدق ..

« إنك بالواد المقدس » عن رذائل الأغيار مطلقاً ..

« طوًى » اي طويت عنك التوجه إلى الغير » ..

وفي سورة القصص :

﴿ فلمَّا اتاها نُودِيَ مِن شاطىء الوادِ الأيمنِ في البُقعةِ المباركةِ منَ الشجرةِ أن يا موسى إني أنا اللهُ ربُّ العالمينَ ﴾ ..

قال صاحب اللطائف :

« أخفي تعيين قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال :

« من شاطىء الوادِ الايمنِ » ..

ثم قال :

« في البُقعةِ المباركةِ » ..

ثم قال :

« من الشجرة » ..

« وأخليق بأن تكون تلك البقعة مباركة .

« فعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة ، وأعز الأماكن في العالم مشهد الأحباب .

« ويقال : كم قدم وطئت تلك البقعة ، ولكن لم يسمع أصحابها بها شيئاً !

« وكم ليلة جَنَّت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة !.

« ويقال : شتان بين شجرة وشجرة ؛ شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته ، وشجرة موسى وعندها افتتاح نبوته ورسالته !

« ويقال : لم يأت بالتفصيل نوع تلك الشجرة ، ولا يُدرى ما الذي كانت تثمره ؟

« بل هي شجرة الوصلة وثمرتها القربة ، وأصلها في أرض المحبة ، وفرعها باسق في سماء الصفوة ، وأوراقها الزلفة ، وأزهارها تنفتق عن نسيم الروح والبهجة .

« فلما سمع موسى تغيَّر عليه الحال .

« ففي القصة : أنه غُشي عليه .

« وأرسل الله الملائكة اليه ليروّحوه بمراوح الأنس .

« وهذا كان في ابتداء الأمر ، والمبتدىء مرفوقٌ به » .

﴿ وأنا اخترْتُكَ فاستمِعْ لما يُوحَى

﴿ إنَّني انا اللهُ لا إلهَ إلاّ انا

﴿ فاعْبُدْني

﴿ وأقمِ الصلاةَ لذِكري ..

﴿ إنَّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أخفيها لِتُجزَى كلُّ نفس بما تَسْعَى ..

﴿ فلا يَصُدَّنكَ عنها من لا يُؤمنُ بها واتَّبَع هواهُ فتردَى ﴾ !..

« و » لم يبق لك احتياج إلى الاستكمال والاستهداء .. وبعد وصولك إلى مقام الكشف والشهود ..

« انا اخترتك » واصطفيتك من بين المكاشفين للتكميل والرسالة على النـــاس الناسين التوجه إلى بحر الحقيقة .. فعليك التوجه إلى الاهتداء .. والتجنب عن الميل إلى مطلق الهوى ..

« فاستمع » واقتصر في إرشادك ورسالتـــك ..

« لما يوحى » اليك من مقام جودنا .. ولا تلتفت إلى الأهواء الفاسدة .. حتى لا تضل أنت بنفسك .. ولا تضلهم عن السبيل .. فبلِّغ إلى الناس نيابة عني ، وحكاية مني ..

« إنني أنا الله » الواحد الأحد .. الفرد الصمد ، المحيط بجميع مراتب الأسماء ..

« لا إله » ولا جامع لجميع المراتب ..

« إلا أنا » بجميعها .. المحيط بكلها .. المستحق للإطـــاعة والانقيـاد ..

« فاعبدني » انت حق عبادتي ، فأحسن الادب معي ، وتخلق باخلاقي ..

« وأقم الصلاة » وداوم بجميع الاعضاء والجوارح ..

« لذكري » أي توجـــه نحوي بعموم اعضائك وجوارحك .. لتذكرني بها .. وتشكرني بجميعها .. حتى انكشف لك من كل منها .. بحيث كنت سمعك وبصرك ويدك ورجلـك إلى غـير ذلك .. من سائر جوارحك وآلاتك .. حتى قـامت قيامتك الكبرى .. وقمت بين يدي المولى .. وتمكنت في جنة المأوى .. عند سدرة المنتهى .. التي ينتهي ويرتقي اليها عروجك في الصعود والارتفاع ..

ثم قال سبحانه .. تعليماً لعباده .. وحثاً لهم على طلب الانكشاف التـــام .

« إن الساعة » أي ساعة الانكشاف التام ، الذي لم يبق معـــه ودونه الطلب .. مثل انكشافـك يا موسى ..

« آتية » حاصلة .. حاضرة .. لكل احد من الناس ، دائمـاً في كل آن لكن ..

« أكاد أخفيها » اي أقرب حسب حكمتي .. ان أخفي ظهورها لهم وإطلاعهم عليها ..

« لتُجزى » وتتمكن ..

« كل نفس » بمرتبة من المراتب الإلهية ..

« بما تسعى » أي بحسب ما تجتهد فيه ، وتكتسب من امتثـال الأوامر واجتناب النواهي .. الجـــارية على السنة الرسل .. لئلا يبطل سرائر التكاليف .. وأحكام الشرائع .. وإذا كانـ الأمر كذلك ..

« فلا يُصدَّنك عنها » ولا يصرفنك عن الامر بالانكشاف التام اعراض ..

« مَن لا يؤمن بها » تقليداً ، حتى يطلبها تحقيقاً ، بل قـــد أنكرها واعرض عنهـــا .

« واتبع هواه » المضل إياه ، في تيه البعد والحرمان ..

« فتردّى » انت وتهلك ، بمتابعته في بيداء الجهل والخذلان » .

انتهى ما قاله صاحب « الفواتح الإلهية » في تفسير الآيات !

فماذا عند اهل الكتاب ، في تصوير ذلك المشهد المقدس ؟!

قالوا .

« وظهر له ملاك الرب بلهيب نار ، من وسط عُليقة

« فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق .

« فقال موسى : اميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم .

« لماذا لا تحترق العليقة ؟!

« فلما راى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال . موسى موسى .

« فقال . هأنذا .

« فقال . لا تقترب الى ههنا .

« اخلع حذاءك من رجليك .

« لأن الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة .

« ثم قال : أنا إله أبيك ، إله ابراهيم ، وإله اسحاق ،

وإله يعقوب .

« فغطى موسى وجهه لانه خاف ان ينظر الى الله » ..

هذا شيء مما ورد عند اهل الكتاب .. عن هـذا المشهد الخالد !

وأقول .. ليس لي قول في مثـــل هذه الامور .. التي تعلو على العقول !

وانما بثثت امام عينيك الآيات ، ونشرت تحت نـــاظريك التفسيرات ..

ثم الله يتولاني ويتولاك ..

فلعلك تفهم ما لم أفهم !.

أو تعلم مـــا لم أعلم !

﴿ وَمَا تِلْكَ ..

بِيَمِينِكَ ..

يَا مُوسَى ﴾ ؟!

منظر .. من المناظر الالهية ..

فيه تلطف .. بلغ من الجمال .. جمالاً ليس كمثله جمال !

انظر :

﴿ إذ قالَ موسى لأهلهِ إني آنسْتُ ناراً سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهابٍ قبَسٍ لعلكم تصطلونَ ..

﴿ فلما جاءها نُوديَ أن بُورِكَ مَن في النار ومَنْ حوْلها وسُبحانَ اللهِ ربّ العالمينَ ..

﴿ يا موسى انهُ انا اللهُ العزيزُ الحكيمُ ..

﴿ وألقِ عصاكَ فلما رآها تهتزُّ كأنها جانٌّ ولّى مُدْبرا ولم يُعقِّبْ يا موسى لا تخفْ اني لا يخافُ لديّ المرسلونَ .

﴿ الاّ مَن ظلمَ ثم بدّلَ حُسناً بعدَ سوءٍ فاني غفورٌ رحيمٌ ﴾ !..

غاية التلطف .. وغاية التنزل ..

« إذ قال موسى » حين قال موسى ..

« لأهله » وهو في مسيره من مدين إلى مصر .. وقد آذاهم برد ليلهم ..

« إني آنست ناراً » ابصرتها .. واحسستها ..

« بشهاب قبس » شعلة نار ..

« فلما جاءها » أتاها ..

« نودي » يا موسى ..

« أن بُورك مَن في النار » قُدِّس .. « مَن في النار ومَن حولها » وكانت النار نور رب العالمين في الشجرة .. فعَنى بذلك : نفسه – عز وجل –

« مَن حولها » حول النار من الملائكة .

« وسبحان الله » تنزيهاً له .. عز وجل ..

« إنه » أن الشأن والأمر ..

« أنا الله العزيز الحكيم »

« كأنها جان » كأنها حيَّة عظيمة ، والجان جنس من الحيات معروف ..

« ولّى مدبراً » هارباً خوفاً منها ..

« ولم يُعقّب » لم يرجع ، من قولهم: عقّب فلان : إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ ..

« لديّ » عندي ..

« المرسلون » رسلي .. وأنبيائي ..

« إلا مَن ظلم » منهم فعمل بغير الذي أُذِن له في العمل به ، لا يُخيف الله الانبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم ..

« ثم بدّل حُسناً بعد سوء » يقول : فمن أتى ظلماً ، وركب مأثماً من خَلق الله ، ثم تاب من ظلمه ذلك وأناب ..

« فـإني غفور رحيم » فإن الله ساترٌ عليه بعفوه ، رحيم به .

يقطع موسى .. لامرأته وأولاده .. سآتيكم منها بخبر .. أو بشهاب ؟!

اما أجد عندها أخباراً تنفعنا في رحلتنا ، وترشدنا إلى طريقنا ..

أو آتيكم بشهاب ، بشعلة منها ، لعلكم تصطلون ، تستدفئون من هذا الزمهرير الشديد !

لم يخطر بباله قط ، أن الامر يعدو ذلك ، انها مجرد نار أشعلها

بعض الناس في الصحراء !.

وهذا جمال المفاجأة العظمى !

ثم كانت اجمل مفاجأة :

﴿ فلما جاءها نُودِيَ ﴾ ؟!.

كيف كان النداء .. وكيف كان الصوت ؟

لا .. كيف . ان الله يناديه ..

لا يعلم ذلك إلا الله .. ولم يذق هذا المذاق .. إلا موسى !

﴿ بُورِكَ مَن في النار

﴿ ومَن حولها ﴾ ؟!.

تباركت .. أنا .. وتعاليت !

وبوركت .. يا موسى !

﴿ وسُبْحان اللهِ ربِّ العالمينَ ﴾ ؟!.

الله ؟! يقدس نفسه . ويسبح نفسه ؟!

وموسى .. يسمع .. ويسمع ..

ويَرقى .. ثم يرقى .. ثم يرقى .. إلى ما شاء الله له أن يرقى ..

وُيقرَّب .. ثم يُقرب .. ثم يقـرب ..

﴿ وناديناهُ مِن جانبِ الطُّور الأيمنِ وَقرّبنـــاهُ نجِيًا ﴾ ..

وناديناه .. وقرّبناه ؟!

تأمّـل .. لمَّا ناديناه .. قربناه ؟!

انه يُقرَّب ، ثم يقرب ، ثم يقرب ، إلى ما شاء الله !

« نَجِيّاً » مناجياً .. روى أن الله عز وجـل أدناه حتى سمع صريف القلم !

منظر ، بلغ من الجمال منتهاه ..

إن موسى .. يُبدَّل .. غير موسى قبل النداء ..

انه يصنع صناعة أخرى !

ثم مـــاذا ؟! ثم ندخل إلى منظر جميل جميل ..

﴿ وما تلكَ بيمينِكَ يا موسى ﴾ ؟!..

سؤال .. فيـــه تنزُّل .. وتلطف .. عجيب !

ثم انظر .. الى بشرية موسى :

قال .

﴿ هيَ عصايَ

﴿ أتوكأ عليها

﴿ وأهُشُّ بها على غَنَمِي

﴿ وليَ فيها مآربُ أخرى ﴾ !..

موسى .. يشرح موضوع العصا ؟!

« وأهُش بها على غنمي » أضرب بها الشجر ، فيسقط ورقها ، فترعاه غنمي .. يقال منه : هشّ فلان الشجر ، يهُش هشّاً ؛ إذا اختبط ورق أغصانها فسقط .

« مآرب » حاجات ، ومنافع ..

قرر موسى انها عصا .. قطعة خشب ..

ثم كانت مفاجأة أخرى ..

﴿ قال ألقِها يا موسى ﴾ ؟!.

أمرٌ .. لا يدري موسى .. مـــا المراد منه ؟!

وفي سورة النمـل :

﴿ ألقِ عصاكَ ﴾ ؟!.

وعلى هـذا يكون : القِها .. يا موسى .. ألقِ عصاك ..

ثم مـــاذا ؟!

﴿ فألقاهـــا ﴾ ؟!.

فوراً .. القاها .. إلى الأرض ..

ثم مـــاذا ؟! ثم ما لم يخطر على قلب موسى ؟!

﴿ فإذا هي حيَّةٌ تسعَى ﴾ ؟!.

فإذا ؟! فوراً ، بمجرد ان القاها ، انقلبت ..

« حيَّة » كائناً حيّاً ، ثعباناً ضخماً ..

« تسعَى » تتحرك سريعاً ، وتهتز كأقوى مـا يكون اهتزاز الحيـاة !

والإشارة الى ذلك .. في قـــوله :

﴿ فلما رآها تهتزُّ كأنها جانٌ ﴾ ..

تهتز ؟!

تعبير .. ليس كمثله تعبـــير ؟!

تهتز .. بكل ما يتصور من حيوية ونضارة وغضارة .. حيَّة أتم حياة ، كأنها جان .. تثير الرعب والفزع فيمن رآها .. فكيف

بمن رآها فجأة ..

« فلما رآها » كانت مفاجأة ارهبت وارعبت موسي ..

« ولّـى مُدْبراً » اطلق ساقيه ، وهرب منها خـائفاً أشد الخوف ..

« ولم يُعقِّبْ » ولم يرجع .. ولم يفكر ان يرجع ؟!

منظر غريب ، ولكنها البشرية ، اذا فوجىء الإنسان بشيء لم يره من قبل ، ذُعر ذعراً شديداً ..

فلا غرابة ، ان يولي موسى هارباً ، خائفاً مما يرى !

ثم ماذا ؟! ثم اجمل منظر من مناظر اللطف والملاطفة :

﴿ يا موسى

﴿ اقبِلْ

﴿ ولا تخَفْ ﴾ !.

موسى .. يجري مسرعـاً .. لا يريد أن يلتفت وراءه .. خوفاً من هذا الجان .. الذي يهتز ..

فيناديه .. ربه : يا موسى ..

وموسى .. لا يفكر أن يرجع !

أقبِل .. ارجع .. مُقبلاً ..

ولا تخف .. من هذه الحيــــة التي أفزعتك ..

﴿ إنَّكَ مِنَ الآمنينَ ﴾ ..

انت عندي .. وفي حضرتي ، ومن كان عنــدي ؟!

﴿ اني لا يخافُ لديَّ المرسلونَ ﴾ !.

ثم ماذا ؟! ثم مفاجأة أعجب من سابقتها ..

قالَ :

﴿ خُذها ﴾ ؟!.

خُذها ؟! أنا آخذها ، انا اجترىء على امساك هذا الجان الذي يهتز اهتزازاً ؟!

« ولا تَخَفْ » امسكها يا موسى ، لا تخف منها ..

« سنُعيدُها سيرَتَها الأولى » كهيئتها الأولى ..

وأمسك موسى بالحيَّة .. فإذا بها في يده فوراً .. كما كانت !

وجعل موسى يتأمل ما في يده ، إنها عصاه .. التي يعرفهـا جيــداً !

ثم ماذا ؟!

« أَسلُكْ يَدَكَ ..

في جيبك ..

تخرُجْ بيضاءَ » ؟!

مفاجأة أخرى ..

﴿ اسلُكْ يَدكَ في جيْبكَ تخرُجْ بيضاءَ مِن غيرِ سُوء

﴿ واضمُمْ اليكَ جناحَكَ مِنَ الرّهْبِ

﴿ فذانِكَ بُرهانانِ من ربِّكَ إلى فرعونَ وَمَلاه انهم كانوا قوما فاسِقينَ ﴾ ..

(اسلُك) ادخِل ..

(يدك في جيبك) في جيب قميصك ..

(تخرج بيضاء) خرجت كالمصباح ..

(من غير سوء) من غير أذى ..

(واضمُم اليك جناحك) الذراع هو الجناح ..

(مِن الرَّهب) من الخوف ، والفرَق الذي قد نالك ..

(فذانِكَ برهانان) يعني تحويل : العصا حيَّة ، ويده بيضاء ، **هما** برهانان وآيتان :

وفي سورة النمل :

﴿ وادْخِلْ يدَكَ في جيْبكَ تخرُجْ بيضاء مِن غيرِ سُوء

﴿ في تسع آياتِ الى فرعونَ وقومِهِ انهم كانوا قوماً فاسقِينَ ﴾ ..

(في تسع آيات) يقول : فهي آية من تسع آيات أنت بها مرسل ..

قالوا : « هي التي ذكر الله في القرآن :

العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ، والسنين ، والطمس الذي اصاب آل فرعون في أموالهم » .

وفي سورة طه :

﴿ واضْمُمْ يدَكَ الى جناحِكَ تَخرُجْ بيضاءَ مِن غير سُوءٍ آيَةً أخرَى .

﴿ لِنُريكَ مِن آياتِنا الكبْرَى ﴾ ..

(واضمم يدك إلى جناحك) ضعها تحت عضدك ..

(من غير سوء) من غير داء ..

(من آياتنا الكبرى) من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا .. أي من عجائبنا ..

وبعد .. ما هذه الآية الأخرى .. وكيف كانت ؟!

أمره الله .. أن يُدخل يده من فتحة قميصه التي حول الرقبة .. أن يدخلها تحت ذراعه الآخر .. ثم يخرجها .. فاذا هي بيضاء ..

أي فاذا هي نور ، يتشعشع ، ويأخذ بالأبصار ..

منظر جميل ، يد موسى ، تحولت إلى نور شديد ، له إشعاع باهر !

ولكن الأعجب ، أن يد موسى سليمة ، لم تحترق ، ولم يحدث لها اي أذى : (من غير سوءٍ) !.

كيف هذا ؟!

«آية أخرى» !.

فذانِك .. برهانان ؟!

برهانان ؟! دليلان ..

كأنه يراد ان يقال : يا أيها الفرعون ، لقد خوّفت شعباً بأكمله ..

أرهبته ، وأرعبته ، وسخّرته ، واستعبدته ، واحتقرته ، وذبحت أبناءه ، واستحييت نساءه ، وفعلت به الأفاعيل ..

أيها الفرعون .. خوّفت عبادي ، وأرهقتهم ، وعذبتهم ..

لأخيفنّك ، خوفاً لم يخطر على بالك ..

فذانِك برهانان .. من ربك .. إلى فرعون ..

البرهان الأول .. العصا .. تنقلب إلى ثعبان ..

هذا الثعبان سيخيفك يا فرعون ..

وسوف تفر هارباً أمامه .. ثعبان واحد .. يخيف الإله الكاذب .. فأينَ قوتك .. وأينَ جبروتك ؟!

البرهان الثاني .. ظهور شيء من حقيقة موسى .. أمام أعينكم ..

إن حقيقة موسى .. أنه نور .. مغطى بجسد ..

سنرفع الغطاء عن جزء من جسده .. عن يده فقط .. فتظهر الحقيقة من ورائها .. يظهر النور ..

وهذا النور .. أعلى وأقوى من نور الشمس .. وسوف تبصرونه

باعينكم ..

لتعلم أيها الفرعون الدعيّ .. أنك تتعالى .. على موسى .. وأنت أقل من أن تكون له خادماً !

أيها القائل :

« أمْ انا خيرٌ مِنْ هـذا الذي هو مَهينٌ ولا يكادُ يُبينُ » ؟!.

كبرت كلمة تخرج من فمك ..

بل انت المهين .. ولسوف تعلم !.

﴿ اذْهَبا ..

إلى فِرْعَوْنَ ..

إِنَّهُ طَغى ﴾ ؟!

صدر الامر الاعلى :

﴿ اذهَبْ الى فرعونَ إنّهُ طغى ﴾ !

ها هنا .. اصبح موسى .. رسولاً ..

لقد انتقل من نبي .. إلى نبي رسول ..

﴿ واذكُرْ في الكتابِ موسى انهُ كان مُخلَصاً وكان رسولا نبيّا ﴾ ..

قبل هذه اللحظة .. كان نبيّاً ..

﴿ وناديْناهُ مِن جانبِ الطّور الايمن وقرّبْناهُ نَجِيّا ﴾ ..

هذه المرحلة .. صار فيها موسى نبيّاً ..

أما حين قال له « اذْهب » فقد صار فيها رسولاً ..

والآن صار موسى :

﴿ رسُولا نبيًا ﴾ ؟..

لقد بـدأت المهمة الكبرى ..

لقد بدأت الشجرة الطيبة تُؤتي اكلُها !

واحس موسى على الفور .. ضخامة المهمة .. وجسامة الأمر القادم اليه .. فناداه :

« قال :

﴿ ربِّ اشرح لي صدري ﴾ ..

وسع لي قلبي .. بحيث لا يخطر ببالي خوفاً من العدو ..

﴿ ويَسّرْ لي امري ﴾ ..

وسهل لي أمري هـذا .. بحيث لا أضطرب في التبليـغ .. ولا استوحش من جاء فرعون وشوكته ..

﴿ واحلُلْ عُقدةً مِن لساني ﴾ ..

وارفع .. لكنة عارضة من مهابة العدو .. سيما هـذا الطـاغي المتجبر ، مع أن اللكنة خلقية لي ..

﴿ يَفقهوا قولي ﴾ ..

وغرضي منه ..

﴿ واجْعَل لّي وزيراً مِن اهلي ﴾ ..

« و » بعدمـــا وفقتني لأداء رسالتك يا ربي ..

« اجعل لي وزيراً » ظهيراً يصدقني في أمري ويعينني عليـه .. ولا تجعل ظهيري من الأجانب لقلة شفقتهم وعطفهم عليّ .. بل اجعل ظهيري يا ربي ..

« مِن اهلي » واقربهم لي .. وأولى بمعاونتي هو ..

﴿ هارونَ اخي ﴾ ..

إذ هو أخي الأكبر .. بمنزلة أبي في الشفقـــة .. ومتى جعلت أخي هارون ظهيري ووزيري ..

﴿ اشدُدْ به أزْري ﴾ ..

وقوّ بسببه ، واحكم بإقامته يا معيني ..

« أزري » ظهري ..

﴿ واشركهُ في امري ﴾ ..

« و » لا يتحقق تقويته على حقيقة .. إلا بعد اشتراكه معي في أمر الرسالة .

« اشركه » بلطفك يا ربي ..

« في أمري » ورسالتي ، بـــأن تكشف انت بلطفك عليه .. حقيقـــة الأمر والتوحيد ، كما كشفت لي ليكون هو ايضاً من المكاشفين الموقنين بوحدانيتك ، ومن الممتثلين باوامرك ، المجتنبين عن عن نواهيك ، وإنما سألتك يا ربي الاعـــانة باخي ..

﴿ كي نُسبّحك كثيرا ﴾ ..

ونقدس ذاتك عما يليق بشانك تقديساً كثيراً ..

﴿ ونذكرَك كثيرا ﴾ ..

ونناجي معك بذكر أسمائك الحسنى ، وصفاتك العظمى ذكراً كثيراً .. وكيف لا نسبحك ونـذكرك ..

﴿ إنكَ كُنتَ بنا بصيرا ﴾ ..

« انك » بذاتك وأسمائك وأوصافك قد ..

« كنت » محيطاً ..

« بنا بصيراً » لعموم أحوالنا ..

وعلى الفور .. كانت المنة ، وكانت الاستجابة :

﴿ قال قد أوتيتَ سُؤلكَ يا موسى

﴿ ولقد مننّا عليكَ مرةً أخرى ﴾ !

قد آتيناك يا موسى .. كل ما سالت ..

« قال » تعالى .. رفقاً له .. وامتناناً عليه .. لرجوعه نحوه بالكلية ..

« قد اوتيت سُؤلك » ونعطيك عموم مسؤولك ، وقد حصل لك جميع مطالبك ، لتوجهك الينا ، ورجوعك الينا .. يا موسى ، كيف ..

« ولقد » انعمنا عليك من قبل حين لا ترقب لك ولا شعور بأن ..

« مننا عليك » من وفور ورحمتنا وشفقتنا عليك ؟!

قد أوتيت سُؤلك يا موسى ؟!

لك يا موسى .. كل ما شئت .. وكل ما سالت !

سنشرح لك صدرك .. فلا يضيق ، مهما قابلت من الصعاب ..

وسنيسر .. لك ، أمرك .. مهما وضعوا في طريقك من السدود والقيود والمقاومة .

وسوف نحُل عقدة من لسانك ، ونؤتيك فصاحة وبلاغة تبهر السامعين .

وسوف نجعل ، لك ، وزيراً من أهلك .. هارون أخاك ، وسوف

نشد به ظهرك ، ونشركه في أمرك ..

﴿ قال سنشُدُّ عضُدكَ بأخيكِ ونجعلُ لكما سُلطاناً فلا يصلونَ اليكما بأياتنا انتما ومن اتّبعكُما الغالبون ﴾ ..

هكذا ، اعطاه اكثر مما سال ..

شد عضده باخيه ، هذا آخر مطلب لموسى .

ثم زاده ما لم يخطر على باله .

ونجعل لكما سلطاناً ، قوة قاهرة ، تمنعهم ان يصلوا اليكما .. بقتل أو اهلاك ..

ثم زاده البشرى ، بأنهما ومَن وراءهما ، في النهاية ، بل ومن البداية الغالبون .

وهذه بشرى خطيرة ، كانت الأمور قبل هذا ، قوم موسى أذلاء ..

وفرعون فوقهم غالب قاهر ، والآن ستنعكس الأوضاع ، موسى ومن اتبعه الغالبون ، وفرعون وقومه المغلوبون ..

هناك تحول خطير !

ثم ماذا ؟! ثم صدر الأمر الأعلى ، إلى الاثنين .. موسى وهارون ..

﴿ اذهَبْ انتَ

﴿ واخوك

﴿ بآياتي ولا تنيِا في ذِكري ..

﴿ اذهبا الى فرعون انه طغَى ..

﴿ فقولا له قولا ليّنا اعله يتذكـّرُ اوْ يَخشَى ﴾ ..

فماذا كان جوابهما ؟!

﴿ قالا ربنا اننا نخافُ ان يَفرُط علينا اوْ أن يطغَى ﴾ .

أن يفرط علينا ، ان يبادر كعادته وجبروتـه الغـاشم ، إلى الاعتداء علينا فوراً ، ويامر بقتلنا ، وأمره لا يقاوم .

او أن يطغى ، او يزداد طغياناً على طغيانه ، فيصب إجرامه على بني إسرائيل ، اكثر مما هم فيه من عذاب !

﴿ قال لا تخافا

﴿ انني معكُما

﴿ اسمعُ وارى ﴾ ا..

لا تخافا .. بعد الان . فلا وزن لإفراطه ، ولا وزن لطغيانه ..

إنني معكما ؟! أسمع وأرى .. لقد تغير كل شيء ، ومن كان الله معه .. فكل شيء معه !

ثم صدر الأمر الأعلى اليهما .. بتحديد المهمة :

﴿ فَأْتِيَاهُ فقولا

﴿ انا رسولا ربِّكَ

﴿ فارسِلْ معنا بني اسرائيل

﴿ ولا تُعذِّبْهُم

﴿ قد جِئْناك بآيةٍ من ربِّكَ

﴿ والسلامُ على من اتَّبعَ الهُدَى ..

﴿ انا قد أوحيَ الينا أنْ العذابَ على مَن كَذَّبَ وتولّى ﴾ ..

تحديد دقيق ، على الغاية من الدقة ..

وتخطيط كامل للمهمة ، وكيفية أدائها ..

ماذا يقولان لفرعون ؟!

الهدف من المقابلة ؟!

المطلب الرئيسي لهما ؟

والمطلب هو :

﴿ أرسِل معنا بني اسرائيلَ ﴾ ..

اطلق يا فرعون هذا الشعب ودعه يخرج من بلادك .

﴿ ولا تُعذِّبهم ﴾ ..

ارفع يدك عنهم .. فلا سُخرة بعد اليوم .. ولا اضطهـاد .. ولا تعذيب !

لقد دقت ساعة الخلاص !

وها هو .. النبي الرسول .. البطل .. يستعد لقيادة المعركة ..

أكبر معركة في التاريخ !

وها هي إشارة الانطلاق .. تدوي في الافاق :

﴿ فأتِيَــــاهُ ﴾ ..

﴿ يا فِرْعونُ ..

إنِّي رَسُولٌ ..

مِن رَّبِّ العالَمين ﴾ ؟!

ها هو فرعون ..

يجلس على كرسيه .. كرسي عرشه ..

عن يمينه الأمراء والنبلاء ..

وعن يساره هامان والوزراء ..

وها هو موسى ، وهارون .. يدخلان إلى قاعة العرش ..

ونظر فرعون إلى موسى وهارون ، في استعلاء ..

ففاجأه موسى :

﴿ يا فرعونُ ﴾ ؟!.

فغضب فرعون ، كيف يجرؤ هذا على مخاطبته هكذا ؟!

فاستمر موسى :

﴿ انِّي رسولٌ مِن رَّبِّ العالمينَ ﴾ !..

فازداد فرعون غضباً على غضب !.

فواصل موسى كلامه :

﴿ حقيقٌ على ان لا اقولَ على اللهِ الا الحقّ

﴿ قدْ جئتكم ببيّنةٍ من ربكم ﴾ ..

قال فرعون في احتقار لموسى شديد :

ومـــاذا تريد ؟!

قال موسى :

﴿ فأرْسِل معِي بنى اسرائيلَ ﴾ ..

فقهقه فرعون عـــالياً وقال : لو قالها غيرك ؟!

ثم نظر إلى موسى في استخفاف وقال :

﴿ الم نُربّكَ فينا وليداً ولبِثْتَ فِينا مِن عمُرك سنينَ ﴾ ؟!

الآن تأتينا رسولاً ؟!

ثم قال فرعون لموسى :

﴿ وفعَلْتَ فعْلتَكَ التي فعلتَ وانتَ مِنَ الكافرينَ ﴾ ؟!.

فجأة انقلبت من كافر .. إلى رسول ؟!

هنالك قال له موسى :

﴿ قال فعَلتُها اذاً وأنا مِن الضّالين ﴾ ..

فقال فرعون : وما الذي قَلَبك من مجرم قاتل .. إلى نبي رسول ؟

ثم غمزه غمزة قاتلة :

ولماذا فررت يا موسى من البلاد ؟ خوفاً من القتل الذي كان مقرراً لك .. اليس كذلك ..

فقال موسى :

﴿ فرَرْتُ منكم لما خِفتُكم ﴾ ..

فقاطعه فرعون : إذاً كنت قاتلاً .. فارّاً من حكم الإعدام ؟

قال موسى :

﴿ فوهب لى ربِّي حُكماً وجعلني من المرسلينَ ﴾ ..

فقهقه فرعون قائلاً : هكذا ؟! من قاتل مجرم .. إلى نبي رسول .. هذا شيء جميل ..

فقال موسي :

﴿ وتِلكَ نعمةٌ تمُنّها عليّ ﴾ ؟

قال فرعون : نعم نعمة أمنُنها عليك .. كان ممكناً جداً .. أن أصدر آمري بذبحك بمجرد التقاطك من الماء .. شانك شان الالاف التي ذبحتها ..

ثم ثار فرعون وقال : الأيام تؤكد لي .. أن خير وسيلة لمعاملتكم يا بني إسرائيل .. هو الذبح والإبادة .. الان تاتينـا رسولاً .. ولو قد ذبحتك وليداً .. لاسترحت من ثرثرتك من يومها ؟

فقال موسى : أمِن أجل أنكم ربيتموني وليداً .. تستحلون استعباد شعب باكمله وتسخيره وتعذيبه .. ما علاقة هـذا بذاك ؟

﴿ أنْ عَبدْتَ بني اسرائيل ﴾ ؟

ثم نظر فرعون إلى هارون في استخفاف وقال : وما شانك أنت الآخر .. أرسول أنت كذلك ؟.

فقال موسى وهارون :

﴿ انّا رسولا ربّك ..

﴿ فأرسِلْ معنا بني اسرائيل .. ولا تُعذّبهم ﴾ ..

فضحك فرعون وقال : أنت أيضاً .. يا هارون صرت رسولاً .. هذا شيء يثير الضحك ..

ثم قال لهما :

﴿ قال : فمَن ربُّكما يا موسى ﴾ ؟.

وكان بين القمتين .. قمة النور .. وقمة الظلمات هذا الحوار الخالد :

فرعون : فمن ربُّكما يا موسى ؟

موسى : ربُّنا الذي اعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه ثم هدَى .

فرعون : فما بالُ القرونِ الاولى ؟

موسى : علمُها عند ربي .. في كتابٍ .. لا يَضِلُّ ربي ولا يَنسى ..

: الذي جعل لكُم الارضَ مهْداً .. وسلَكَ لكم فيها سُبُلاً .. وأنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخرجنا به أزواجا من نباتٍ شتى .

: كُلُوا وارْعَوْا أنعامكم .. انَّ في ذاك لآياتٍ لأولي النُّهى ..

: منها خلَقناكم .. وفيها نُعيدُكم .. ومنها نُخرجُكم تارة أُخرى .

وفي سورة الشعراء :

فرعون : وما ربُّ العالمينَ ؟

موسى : ربُّ السماواتِ والارض وما بينهما ان كنتمُ موقنين .

فرعون : [قال لمن حوْلَهُ] الا تستمعونَ ؟!

موسى : ربُّكم وربُّ ابائِكمُ الاوّلينَ ..

فرعون : انّ رسولكمُ الذي أُرسِل اليكم لمجنونٌ ..

موسى : ربّ المشرقِ والمغربِ وما بينَهُما ان كنتم تعقلونَ .

هذا جانب مما دار بين القمتين ..

ومما يثير التامل .. سخرية فرعون القاتلة حين تهكم بموسى في ازدراء وقال لمن حوله :

﴿ الا تستمعون ﴾ ؟.

ثم زاد تهكمه واحتقاره لموسى حين أعلن إلى الجميع

﴿ ان رسولكُمُ الذي أرسِلَ اليكم لمجنونٌ ﴾ ..

رسولكم أنتم .. أمـا أنا ففوق هذه الهذيانات وهـذا الجنون .. والجنون فنون !.

وكان حواراً خالداً .. إلى يوم القيامة ..

حواراً .. بين أقصي الحق .. يمثله موسى .. نبي الله ورسوله ..
وأقصى الباطل .. يمثـله فرعون .. دعيّ الربوبية .. ودعيّ الألوهية !.

موسى .. يتكلم باسم الله .. الذي أرسله ..

وفرعون .. يتكلم من الوجه المضاد .. من البـاطل ..

ورغم أن موسى حدّد لفرعون الموضوع في أمرين اثنـين ..
إني رسولٌ من رب العالمين .. فارسل معي بني إسرائيل ..

ورغم وضوح الموضوع .. فـإن فرعون رفض رفضاً باتاً كلا الأمرين .

فلا هو يعترف برب العالمين .. بل يتهكم من الفكرة :

﴿ وما ربُّ العالمينَ ﴾ ؟.

مَن هو هذا الذي تسمونه رب العالمين ..

ولا هو سيطلق بني اسرائيل ..

فإنهم عبيده .. وهو سيدهم .. وله أن يفعل بهم الأفاعيل !

إلا أن الموجة التي أطلقها موسى .. أحدثت اضطراباً في أعصاب فرعون ..

فنظر في الحاضرين .. كما ينظر الأسد إلى فريسته حين يعزم على

افتراسها ..

فازداد الحاضرون رعبـــا .

ثم نادى : هامان !!.

فانتفض هامان قائما .. ثم سجد بين يدي فرعون .. وهو يترنم بتمجيده وتقديسه ..

فاصدر فرعون اليه أمراً .. هو أعجب أمر .. يصدر عن حاكم في التاريخ .

وقبل أن يصدر أمره إلى هامـــان .. نظر إلى من حوله من عظماء الدولة وقال لهم :

﴿ يا أيها الملأُ

﴿ ما علمتُ لكم مِن الهٍ غيري ﴾ !..

هكذا .. يعاملهم معاملة البغال ؟..

ما علمت لكم ؟!. هو يعلم لهم .. يفكر بدلا منهم .. أما هم فلا يجوز لهم أن يفكروا أو يعلموا !

من إله غيري !. لا إله لكم غيري .. اليس كذلك ؟.

فصاحوا جميعاً صيحة الحُمُر : نعم .. نعم .. لا إله لنا غيرك .. أنت ربنا .. وأنت إلهنا ؟.

ثم أصدر أمره ، إلى الرجـــل الأول في الدولة ، الرجل الرهيب .. إلى هامان :

﴿ فأوقِدْ لي يا هامانُ على الطينِ ..

﴿ فاجعل لِّيَ صَرحا ..

﴿ لعلِّي اطّلعُ الى الهِ موسى

﴿ واني لاظنُّهُ مِنَ الكاذبينَ ﴾ ..

يا هامـــان .. أسرع فوراً ..

فامُـر .. بصناعة الطوب الأحمر .. وأوقدوا على الطين ناراً ..

فاجعل لي ، خاصاً بي انا وحدي ..

صرحاً .. بُرجاً شاهقاً ، أعلى بنـــاء في الأرض ..

لعلي اطلع إلى إله موسى ، إن وجدته في السماء !

هكذا .. بلغ استخفـاف فرعون بالعظماء الذين جمعهم ..

ولا أحد منهم يفتح فمه ..

وفي سورة غـــافر :

﴿ وقال فرعونُ يا هامانُ ابنِ لي صَرحاً لعلي ابلـُغُ الاسبابَ ..

﴿ أسبابَ السماواتِ فاطلع الى الهِ موسى واني لأظنّه كاذبـــا ﴾ !..

إحدى اثنتين .. إما أن اجد إله موسى هناك ، في السماء ، وأنا كفيل به أقضي عليه ..

وإما أن موسى كاذباً ، فلا أجد شيئاً هناك مما يزعمه ، وهـذا هو الراجح عندي ؟

ذكروا أن هامان بنى له الصرح .. حتى بلغ نهاية ما قدر عليـه من البنـاء ..

ثم صعد فرعون وصوب سهماً إلى السماء ، ورمى به ، فعاد اليه النصل مخضباً بالدم .

فقال : لقد قتلتُ إله موسى ؟

ثم ماذا ؟

ثم بعد ان ارهب فرعون .. كبراء دولته .. وعبث بعقولهم ما شاء له العبث ..

واعلنوا أمامه .. أنه لا إله لهم غيره ..

وسجدوا له جميعاً ، تاكيداً لإخلاصهم وولائهم ..

بعد هذا كله ، نظر إلى هذين الرجلين ، اللذين يعلمان تمـــام

العلم ، انهما أمـــام ألعبان .. يلعب بالشعب كما يشاء ..

نظر اليهما وقال مخاطباً موسى :

﴿ لئن ِ اتخذتَ الها غيري

﴿ لأجعلنّكَ مِن المسجُونينَ ﴾ ..

اسمع يا هذا الذي اسمه موسى ..

إن قولي ، لا يُرد ..

لئن اتخذت إلهاً غيري ..

لأجعلنك فوراً ، من المسجونين ..

ضمن الألوف التي تعج بها سجوني ..

وأنت تعلم ما هي سجون فرعون ..

لن تخرج منها أبداً .. إلا إلى القبر ..

هي الجحيم إذا تلظى .. هي العذاب والتعذيب ..

وها هو هامان في انتظار إشارة مني ..

فسجد هامان .. ورتل تراتيل التمجيد والتقديس لفرعون ..

ثم قال في صوت رهيب : إلهي .. وربي .. وسيدي .. ألقِه .. إليّ .. اجعله أنيناً يتلوّى ..

فماذا كان جواب موسى ؟!

﴿ أَوَ لَوْ جِئْتُكَ ..

بِشَيْءٍ ..

مُّبِينٍ ﴾ ؟!

بلغت الوقاحة ..

من اللعين منتهاها ..

وبلغ الرعب الذي بثه في نفوس كبرائه اقصاه ..

وبلغ التعالي الذي صبه على موسي منتهاه ..

هنالك كانت لحظة التحدي ..

قال موسى :

﴿ أوَ لَوْ جِئتُكَ بشيء مُبينٍ ﴾ ؟!.

حتى بعد هذا .. تُصر يا فرعون على القائي في السجون .. وتعذيبي في ظلماتها ؟.

فازداد فرعون به استخفافاً وقال :

﴿ فأتِ بهِ إن كُنتَ منَ الصّادقينَ ﴾ ..

وفجاة .. وعلى الفور :

﴿ فألقى عصاهُ

﴿ فإذا هي ثعبانٌ مُبينٌ ﴾ !..

وكانت المفاجأة الكبرى ..

انقلبت العصا .. إلى ثعبان رهيب .. وجعل الثعبان يتضخم اكثر فاكثر .. ويهتز كأنه جان .. ويثور ويفور ، ويصيح في فحيح ليس كمثله فحيح ..

فساد الذعر والهلع في الجميع ..

إلا أنهم فوجئوا بالثعبان يهاجمهم جميعاً ، ويفتح فمه الرهيب ليبتلعهم ويلتقمهم أجمعين !

ففروا منه فراراً .. وهو يطاردهم ويصر على التهامهم ، فصاحوا وناحوا .

ثم توجه الثعبان إلى فرعون .. ليبتلعه ، ففر عن عرشه مذعوراً ، وهو يولول ويحاول ان يهرب ، والثعبان يحاصره ويداوره حتى أحدث فرعون وخرجت منه الخبائث !

وبينما الجميع يولولون ، ويركب بعضهم قفا بعض ، تضخم الثعبان تضخماً فظيعاً .. وفغر فاه الرهيب ليبتلع القصر بمن

فيه وما فيه !

هنالك ، صاحوا بموسى . أن يكف عنهم هـذا الثعبـان ..

فأمسك موسى بالثعبان ، فعاد في يده عصا ، كما كان !

فجعلوا يعودون سراعاً ، إلى مقاعدهم ..

ومن فوقهم فرعون ، يحاول أن يستعيد هدوءه على عرشه ..

إلا أن موسى ، لم يعطهم الفرصة ليلتقطوا أنفاسهم ..

﴿ ونزعَ يدَهُ فاذا هي بيضاءُ للناظرينَ ﴾ !..

أدخل موسى يده في عبّه ، ثم نزعها ..

فإذا هي فوراً .. بيضاء .. تتشعشع بشعـــاع يطمس شعاع الشمس ..

فإذا الجميع .. لا يستطيعون النظر إلى شعاعها ، من شدة إشعاعها.

« للنـاظرين » يراها جميع من ينظر اليهـا ، لا تخفى على أحـد !

فماذا كان من موسى ؟

أدخل يده في عبّه ، ثم نزعها ، فعادت يده مثل جسده ، كما كانت من غير سوء !..

فماذا كان من فرعـون ؟! قـال :

﴿ إنّ هذا لساحرٌ عليمٌ ﴾ ؟..

عادت اليه فرعونيته ، واستعلى ، وعاد إلى السخرية ..

ونادى في الحاضرين :

﴿ .. فماذا تـأمُرونَ ﴾ ؟..

فماذا قال السادة الحـاضرون ؟

وقد كانوا منذ لحظة يولولون ؟!

قالوا :

﴿ أرْجِه واخاهُ

﴿ وابعثْ في المدّائن حاشرينَ ..

﴿ يأتوكَ بكلّ سحّار عليمٍ ﴾ !..

فماذا كان من فرعون ؟

التفت وهو يحاول أن يستعلي وقـــال لموسى :

﴿ اجِئتَنا لتخرجَنا من ارضِنا بسحركَ يا موسى ؟!

﴿ فلنأتينكَ بسحرٍ مثلهِ

﴿ فاجعلْ بيننا وبينك موْعِداً لا نُخْلِفُهُ نحن ولا انتَ مكانا سُوى ﴾ ا..

وانتهزها موسى فرصة ..

ليبث الدعوة إلى الله ، في أوسع الآفاق .. فقال :

﴿ موعدُكم يومُ الزينَةِ

﴿ وان يُحشرَ الناسُ ضُحىً ﴾ ..

﴿ وألقِ ..

مَا في يَمينِكَ ..

تَلْقَفْ ما صَنَعُوا ﴾ ؟!

كان يوماً .. من ايام الله ..

﴿ وذكرهم بايام الله ﴾ ..

في يوم الزينة .. في أعظم عيد مقدس .. قومي .. عند المصريين .

فرعون ، الرهيب ، على المنصة الملكية المقدسة ..

وقد أخذ زينته كلها ، وعليه تاج المُلك ، والنياشين تحلي صدره الفـــارع .

وقد اصطف عن يمينه الأمراء والنبلاء ، في زينتهم ..

وعن يساره الوزراء والمسئولون في زينتهم المقدسة ..

وكبراء الدولة كلها ، وقد وجهت الدعوة الفرعونية إلى جميع من في البلاد من كبراء ووجهاء ..

وقـد بدت الساحـة الكبرى تموج بملايـين من الشعب المحتشد الحريص كل فرد منه على شهود هـذا اليوم المشهود ..

أما المصريون فقد ازدحموا من حول الساحة وقوفاً ..

وفي ناحية من الساحة خصصت للعبيد ، ازدحم جميع بني اسرائيل ، ليشهدوا هذا المشهد العظيم ..

أما ساحة العرض الواسعة ، فقد اصطف فيها في القوس المواجه للمنصة الرئيسية حيث يجلس الملك المقدس .. اصطف فيها (١٢٠٠٠) من رجال السحر ، الذين اشتهروا في جميع أنحاء مصر بالبراعة في السحر .. فوق ما هم جميعاً من كبار علماء الدين والكهنوت « بكلِّ سحّارٍ عليم » .. واسع العلم في السحر ، واسع العلم في الدين والكهنوت وسائر العلوم ، حيث كان العلم الديني والدنيوي حكراً على تلك الطائفة المقدسة ، وقد احتشدوا في زهو وخيلاء ، انتظاراً للساعة الفاصلة ..

أما في الخارج .. عن يمين الساحة فقد احتشدت القوات المسلحة ، في ملابسها العسكرية وزينتها التي تأخذ بالعيون « يومُ الزينةِ » .. استعداداً للاستعراض العسكري الضخم لقوات فرعون الضاربة .. في الشرق والغرب ..

لقد احتشدت الدولة كلها ..

واحتشد الشعب كله ، سادة وعبيداً ..

بأمر فرعون :

﴿ وقيلَ للناس هل انتمْ مجتمعونَ ﴾ ؟.

صدرت أوامر فرعون ، بحضور اكبر حشد في هـذا اليوم ..
ليكون نصره اكبر نصر في التاريخ .. يتحدث به النـــاس ..
فلما آذنت الساعة على العـــاشرة .. ضُحىً ..

﴿ وأن يُحشرَ الناسُ ضُحىً ﴾ ..

وهو أنسب الأوقات ، للاستعراضات العسكرية الكبرى في مصر .
لما كانت الساعة العـــاشرة ..
دوّى في الأفـق ، صوت الأبواق ، يعلن بـدء الاستعراض العظيم ، لأكبر قوة ضاربة في العـــالم ..
وكانت لحظة تاريخية رهيبـــة ..
كل الناس قد اجتمعت .
وعلى رأس الناس ، فرعون الرهيب .
وعلى رأس شعب بني اسرائيل ، شيوخ بني اسرائيل .. وقد حرص فرعون على حضورهم جميعاً .. ليزيدهم ذُلاً على ذل ..
في هـــذا المشهد الرهيب .. والحشد العجيب ..

وقف رجل .. وحيداً ؟

كل هؤلاء ، له ضدّاً !

فرعون ، وقواته التي سحقت ومحقت جيوش الأعـــداء ..

هامان ، وأجهزته .. التي أذاقت سوء العذاب لمن شاء فرعون .

المصريون .. في استعلائهم .. وزهوهم ..

بنو اسرائيل ، في خوفهم ، أن ينتصر فرعون ، ويعود عليهم قتلاً وتعذيباً ..

كل أولئك .. كانوا له ضداً ..

وذلك الرجل .. الواحد الوحيد ، يقف أمامهم وحـــده ..

من هو هذا العظيم ، الذي لا يملك من الأسباب شيئـــاً ؟

انه .. موسى !

هوذا ، وحيداً .. يقف في الساحة ، وفي يده عصاه !

ودقت الأبواق .. وبدأ الاستعراض العسكري العظيم ، لأكبر قوة ضاربة في الشرق ..

دخلت قوات الفرسان ، بخيولها الذهبية الرائعة ..

ثم بمركباتهـــا الحربية المدججة بالأسهم المستعدة للانطلاق .

ثم تتابعت جميع أسلحة الجيش المصري ، جيش فرعون الذي لا يُقهر ..

وكان هذا الاستعراض العسكري ، مظاهرة بارعة من فرعون ، لتأكيد جبروته وسلطانه ، وارهاب الشعب كله ، ارهاباً يمحو من رؤوس الجميع أي خلخلة في الولاء المقدس لفرعون ..

فلما تم استعراض القوات المسلحة ، وبلغ فرعون من تأكيد القوة اقصاها .

تطلعت العيون ، إلى الساحة وما فيها ..

ثم دوّت الأبواق ، إيذاناً ببدء استعراض آلاف السحرة ..

وساد الساحة صمت رهيب !

ثم تقدم كبير السحرة ، في ملابسه الكهنوتية ، فسجد أمام فرعون ، يستأذنه ، في بدء الاستعراض .. فأذن له ..

فتقهقر كبير السحرة .. على رأس الوفد الذي كان من ورائه ، وخرّوا أمام فرعون ساجدين ..

ثم قال كبيرهم :

﴿ أئِنّ لنا لأجْراً إن كنّا نحنُ الغالبِينَ ﴾ ..

فتبسم فرعون ، تبسم الآلهة .. وقال :

﴿ نعم .. وإنكم إذا لمِنَ المقرَّبينَ ﴾ !.

فسجد كبراء السحرة ؛ ثم عادوا إلى الساحة لمواجهة موسى ..

فبادرهم موسى ناصحاً :

﴿ قال لهم موسى :

﴿ ويلكم ، لا تفتروا على اللهِ كذباً فيُسحتَكم بعذابٍ ، وقد خابَ من افترى ﴾ ..

فماذا كان من السحرة ؟!

﴿ فتنَازعوا امرَهم بينهم وأسرُّوا النجوَى ..

﴿ قالوا : إن هَـذان لساحِرانِ يريدان ان يُخرِجاكم مِن ارضِكم بسحرِهما ويذهبا بطريقتِكم المُثلى .

﴿ فاجمعوا كيدَكم ثم ائتُوا صفّاً

﴿ وقد افلحَ اليومَ مَن استعلى ﴾ ..

ونظر موسى .. وإلى جواره أخوه هارون ، إلى الساحة التي تعج بألوف من السحرة العلماء .. وقد اصطفوا صفاً واحداً على امتداد البصر .

(١٢٠٠٠) ساحر عالم .. قد أمسك كل بحبـــاله وعصيه ، استعداداً لساعة العمـل !

« قالوا :

﴿ يا موسى

﴿ إمّا ان تُلقيَ

﴿ وامّا ان نكونَ اوّل مَن القى ﴾ ؟ ..

انهم في منتهى الثقـــة من أنفسهم .. انهم يتعززون بعلمهم ومقـدرتهم ..

فماذا قال موسى ؟

« قال :

﴿ بلْ القوا ﴾ ..

وفجـــاة أمر كبير السحرة ، جميع السحرة أن يُلقوا .. فألقوا ..

« وقالوا :

﴿ بعزّةِ فرعونَ إنا لنحنُ الغالبونَ ﴾ ..

ثم القى كل منهم حباله وعصيه .. فتحولت كلها إلى ثعـابين

تتحركُ وتسعى وتضطرب ..

وامتلأت الساحة كلها منها ..

وضج فرعون بالتصفيق الحاد .. ودوّت الأكف كلها تصفيقاً لهذا المنظر العجيب ، وهذه البراعة من السحرة أجمعين ..

﴿ فاذا حبالهُمُ وعِصِيُّهم يُخيَّلُ اليهِ من سحرهم أنهـا تسعَى ﴾ ..

فإذا كان هذا حال موسى ، فكيف كان شعورِ جميع المحتشدين !

﴿ فلما القَوْا

﴿ سحرُوا اعُيْنَ الناسِ

﴿ واسترهبوُهم

﴿ وجاءُوا بسحرٍ عظيمٍ ﴾ !..

اي سحر أعظم من هذا ؟! آلاف من الحبال والعصي ، تحولت فجأة إلى ثعابين تتحرك وتسعي ؟!

واسترهبـوهم ؟!

واشاعوا الرهبة في قلوب الجميـع ..

كل الناس تراها ثعابين حقيقية ..

﴿ سحروا أعينَ الناسِ ﴾ !

الدقائق تمر ، والجميع يصفقون ، وعلى رأسهم فرعون ..

وبنو اسرائيل ، يصفقون خوفاً .. من بطش فرعون وجنوده !

وموسى .. ذلك الوحيد .. لا يدري ماذا يصنع .. ولا ماذا يفعل ؟!

﴿ فأوجسَ في نفسِهِ خيفةً موسى ﴾ !..

هنالك .. جاءه الغوث :

﴿ قلنا

﴿ لا تخَفْ

﴿ انكَ انتَ الاعلى ﴾ ..

كيف يكون هو الأعلى . وهؤلاء يسيطرون تماماً على الموقف ؟!

﴿ واوْحينا الى موسى أن الق عصاكَ

﴿ فاذا هي تلقفُ ما يأفكونَ !

﴿ والقِ ما في يمينك

﴿ تلقفْ ما صَنعُوا ..

﴿ انما صنعوا كيدُ ساحرٍ ولا يُفلحُ الساحرُ حيث أتىَ ﴾ !

وعلى الفور .. نفَّذ الكليم الأمر الأعلى .. الصادر اليه ..

﴿ فألقى موسى عصاهُ

﴿ فاذا هي تلقفُ ما يأفِكونَ ﴾ ! ..

منظر من المناظر الإلهية الخالدة ..

في اللحظة التي بلغ فيها فرعون قمة النصر .. وقمة الاستعلاء ..

في اللحظة التي ، تاكد فيها الجميع أن موسى .. كان كاذباً ..

في اللحظة التي يأس واستيأس فيهـا بنو اسرائيل ، واستعدوا للعــــذاب والتعذيب والتنكيل ..

﴿ فألقى موسى عصاه ﴾ ! ..

فوراً .. القــى عصاه ..

وفوراً .

﴿ فاذا هي تلـْقـَفُ ما يَأفكُون ﴾ ..

تبتلع .. جميع مـا في الساحـة ، جميع الالاف المؤلفـة من الثعابين والحيات ..

فجأة .. انقلبت العصا ، إلى ثعبان ..

وابتلع الثعبان ، جميع ما في الساحة من ثعابين وحيات ..

ثم بدأ الثعبان .. يفور ويثور ، ويتحرك نحو الملايين المحتشدة ليبتلعهـا هي الاخرى ؟!

وانقلب المنتصرون ، فرعون ومَن وراءه ، إلى مغلوبـين ، يموتون غيظاً ومرارة وحسرة !

﴿ فغُلِبوا هنالكَ

﴿ وانقلبوا صاغرينَ ﴾ !..

انقلبوا !

تعبير محـكم عجيب معجز ..

انقلبوا من اقصى التعزز والعـلو ، إلى أقصى الذلة والخسَّة ﴿ صاغرين ﴾ ..

وهذا هو الجـــبروت الإلهي .. الذي يقلب الاعزة إلى أذلة في لحظة !

﴿ فوقعَ الحقُّ

﴿ وبَطل ما كانوا يعملون ﴾ .

كل التدبيرات ، كل التنظيمات ، والمؤامرات ، والاحتشادات .. وكل علوم السحرة ، وكل إجرام هامان ومخابراته ، وكل مقدرات الدولة ، التي وضعت في خدمة تلك اللحظة .. وكل ما كان يحـلم

به فرعون من صيت ودويّ في العالم ، وما كان يحلم به السحرة من مراكز مرموقة ، ومغـانم منتظرة ..

بَطل ذلك كله في لحظة !

﴿ فبُهِت الذي كفَر ﴾ !.

وعم الوجوم ، والخزي ، والذلة وجوه فرعون ومَن حشدهم ..

وأما السحرة ؟!

﴿ فألقِي السحرةُ سُجّدا

﴿ قالوا : آمنّا بربّ هارون وموسى ﴾ !.

لماذا خرُّوا سُجّداً ؟

لأنهم علمـــاء .. وأعلم الناس بفنون السحر ..

ومـــا حدث ليس من السحر ..

وإنما هو قوة جبارة هدارة ، ابتلعتهم وما صنعوا في لحظة ..

فخرُّوا لفورهم ، بمجرد أن فوجئوا ، خرُّوا ..

﴿ فألقِي السحرةُ ساجدينَ ..

﴿ قالوا . آمنّا بربّ العالمينَ ..

﴿ ربّ موسى وهارونَ ﴾ ..

فالقِيَ ؟.

صُعِقوا لفورهم .. فالقوا .. لفورهم ..

ساجدين .

(١٢٠٠٠) عالم كبير .. خلاصة علماء البلاد كلها ..

سُجَّداً ؟.

لَمن ؟. لرب العالمينَ ..

﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ؟!.

﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ..

أَجْمَعِينَ ﴾ ؟ !

وقف فرعون ..

فوقف الجميع ..

ثم نادى في الجميع ..

﴿ انا ربكم الأعلى ﴾ !..

فبدت الساحة .. بالملايين المحشورة فيها .. صمتاً رهيباً !.

ثم قال :

﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إلهٍ غيري ﴾ !..

فازدادت الساحة صمتاً .. ورعباً !

ثم نادى : يا هامان ..

فسجد هامان بين يديه .. والقى الذلة تحت قدميه ..

فنادى فرعون : إيتوني بهم أجمعين ..

وعلى الفور ، أشار هامان إلى رجال الشرطة العسكرية ..

فانطلقوا إلى الساحة .. وأحاطوا بالسحرة أجمعين ، وساقوهم إلى فرعون ، وهم يلهبون ظهورهم ووجوههم بالسياط ..

فلما مثلوا جميعاً بين يديه ، صاح فيهم :

﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم ﴾ ؟..

فنظر جميع السحرة اليه .. نظرة زادته غيظاً ..

فهددهم جميعاً وقال :

﴿ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون ﴾ ..

فلم يتكلم أحد من آلاف السحرة ..

وكيف يتكلمون .. وزبانية التعذيب من حولهم ؟!

ثم احترق فرعون غضباً .. فصاح فيهم :

﴿ إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة

﴿ لتخرجوا منها أهلها

﴿ فسوف تعلمون ﴾ ا..

هذه مؤامرة لقلب نظام الحكم .. اتفقتم عليها في العاصمة .. لتستولوا على السلطة ، وتخرجوا من البلاد أهلها !

فازدادت الساحة صمتاً على صمت ..

وفرعون يزأر ويزأر !.

ثم نطق فرعون .. ونطقه تتحرك الاجهزة الجهنمية كلهـــا لتنفيذه :

﴿ فلأقطّعنّ أيديَكُم وارجُلَكم مِن خلافٍ

﴿ ولأصلّبنّكم في ُجذوعِ النخل

﴿ واتَعلمُنّ أيُّنا اشدُ عذاباً وابقَى ﴾ !..

لقد قتل فرعون ، جميع علمـــاء البلاد بكلمة !

(١٢٠٠٠) عـــالم .. عليم .. سوف تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف .. أي اليـد اليمنى ُتقطع ، والرجـل اليسرى .. أو اليـد اليسرى والرجـل اليمنى ..

هذا اسلوب التعذيب ..

ثم يصلبون جميعاً ، كل واحد منهم بعد تقطيـع يده ورجله من خلاف .. ُيصلب على جذع نخلة !

أبشع صورة من صور الإعدام !

انه اتهمهم أولاً ، بالخيانة العظمى ..

﴿ مكرٌ مكرتموه في المدينةِ ﴾ ..

مؤامرة لقلب نظام الحكم !.

ثم حكم عليهم فوراً ، بالتقطيع ، ثم القتل صلباً !

(١٢٠٠٠) قتلهم بكلمة ؟!

وإذا تكلم فرعون .. فقوله .. كُن فيكون !

جميعاً يُصلبون ، بلا استثناء ، ألم يخروا جميعا ساجدين .. لرب موسى وهارون ؟!

﴿ ثمّ لأُصلبنّكمُ اجمعينَ ﴾ !..

ثم ؟! بعد أن تذوقوا أجمعين عذاب تقطيع الأيدي والأرجل ، أذيقكم عذاب الصلب أجمعين !

﴿ ولتعلمُنّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى ﴾ ؟!.

أنا .. ام رب موسى وهارون ، الذي آمنتم له ، أشد عذاباً ، وأبقى ؟

إن المجرم الأكبر ، يواصل ادعاء الربوبية ، والألوهية ، ويعقد مقارنة بينه وبين رب العالمين !

والملايين المحتشدة .. صامتة لا احد يجرؤ أو يفكر في مجرد الاشمئزاز !

هنالك .. نسمع هتاف وهـدير ، كان أشبه بهدير الأمواج ..

هنالك هتف السحرة .. العلمـاء :

﴿ لن نُؤثِرَكَ على ما جاءنا مِنَ البينات والذي فطرَنا

﴿ فاقضِ ما أنتَ قاضٍ ..

﴿ إنما تقضي هذه الحياةَ الدنيا ..

﴿ إنا آمنّا بربّنا ليغفرَ لنا خطايانا وما اكرهتَنا عليهِ مِنَ السحرِ ..

﴿ والله خيرٌ وأبقَى ..

﴿ إنه مَن يأتِ ربَّهُ مجرما فان له جهنمَ لا يموتُ فيهـا ولا يحيى ..

﴿ ومَن يأتهِ مؤمناً قدْ عمِلَ الصالحاتِ فـأولئكَ لهمُ الدّرجاتُ العُلى .

﴿ جناتُ عدْنٍ تجري مِن تحتِها الانهارُ خالدينَ فيهـا وذلك جزاءُ مَن تَزكّى ﴾ ا ..

السحرة ، أئمة السحر منذ لحظات ..

ها هم أولاء ، تحولوا إلى عارفين ، من أعلى درجات العارفين ..

وها هم أولاء .. يرون فرعون .. لا شيء يُذكر ، ولا وزن

لأحكامه التي اصدرها بإعدامهم ..

﴿ **فاقضِ ما انتَ قاضٍ** ﴾ ..

منتهى الاستخفاف بفرعون وأحكامه !.

ما انت ؟! تحقير وازدراء !.

﴿ **إنما تقضي هذه الحياةَ الدنيا** ﴾ ؟!.

إنما تحكم ها هنا .. في هذه الحياة الحقيرة .. ليس إلا !

ثم يضربونه ضربة قاتلة ..

﴿ **إنه من ياتِ ربّهُ مجرماً** ﴾ ..

اي انك مجرم .. شديد الاجرام .. ولسوف تُعذب اشد العذاب !

ثم يردون على سؤاله ..

﴿ **أيُّنا إشدُّ عذاباً وأبقى** ﴾ ؟!.

ويقولون له :

﴿ **مَن ياتِ ربّه مجرماً فان له جهنمَ لا يموتُ فيها ولا يَحيى** ﴾ .

فعذاب الله إذاً يا فرعون اشد من عذابك وابقى ولا نهاية له ..

ثم يقولون :

﴿ واللهُ خيرٌ وابقى ﴾ ..

الله خير منك يا فرعون .. وابقى .. فهو حي دائم لا يموت .. اما انت فسوف تموت .. وتلقى جزاء إجرامك !.

هنـــالك صبَّ فرعون عليهم نار غضبه وصاح : خـذوهم .. قطِّعوا ايديهم وارجلهم من خلاف .. ثم صلِّبوهم اجمعـين .. على جذوع النخل ..

ووقف هامان .. كأن وجهه القبيح .. رأس شيطان .. وأصدر أمره الفظيع إلى الشرطة العسكرية ..

فسلسلوهم أجمعين .. بسلاسل من حديد ..

واستاقوهم .. يلهبون ظهورهم ووجوههم وجنوبهم بالسياط ..

والعلماء .. العظماء .. العارفون .. المؤمنون .. الابطـــال .. فرحون كأنهم إلى عُرس يذهبون ..

وبينما كانت السياط تشوي منهم الوجوه .. كانوا يهتفون :

﴿ انّا الى ربّنا منقلبونَ ..

﴿ وما تنقِمُ مِنّا إلاّ أن آمنّا بآياتِ ربّنا لما جاءتْنا ﴾ ..

ثم رفعوا وجوههم المضيئة إلى السماء وهتفوا :

﴿ ربّنا افرِغْ عليْنا صبرا ..

﴿ وتوفّنا مسلمينَ ..

﴿ إنّا نطمعُ ان يَغفرَ لنا ربُّنـا خطايانا ان كنّا اوّل المؤمنين ﴾ ..

قتل ..

١٢ الف عالم ..

صلباً ؟!

يفهم كثير .. من الناس ..

أن السحرة .. هم مجرد سحرة ..

وهذا فهم خاطىء .. يجرد هؤلاء الشهداء العظماء من أخطر صفاتهم ، وهي صفة العلم ..

ولو قد تعمقنا كلمة « عليم » في قوله تعالى :

﴿ يأتوكَ بكلِّ سحّار عليمٍ ﴾ ..

لأدركنا على الفور .. أنهم كانوا طبقة أكابر العلماء في أنحاء البلاد ..

ولأدركنا كذلك : لماذا لجأ فرعون إلى قتلهم جميعاً ؟!

فالطاغية .. أخطر ما يخافه ، أن تكون المعارضة لحكمه في الطبقة المثقفة ..

وهؤلاء هم قمة الطبقة المثقفة في البلاد ..

فإذا انقلبوا إلى الايمان بموسى وهارون ، ورب موسى وهارون .

كان معنى هذا اتباع كثير من الشعب لهم، بدافع ما لهم في نفوس الناس من تعظيم وتوقير ..

إذاً لا بد من استئصال الداء ، بقتل هؤلاء العلمـــاء جميعاً ..

فيثير ذلك الرعب في نفوس الغوغاء ، ويرجعوا عن محـــاولة تقليدهم في إيمـانهم !

فهي خطـــة جهنمية ، وليست مجرد بطش من فرعون ..

فلو قد تركهم .. لآمن معهم كثـير من المصريـين ..

ومعنى هذا .. اهتزاز عرش فرعون ، وأيلولته إلى السقوط ..

فإذا انضم هـذا التيار الجديد .. إلى موسى وبني إسرائيل ..

فمعنى هـذا اشتداد المعارضة ، وتنبيه البهائم الغافلة ، ثم ثورة الشعب واقتلاع فرعون !.

إذاً .. لا بد من إبادتهم ..

ليضرب اتجاهات كثيرة .. بحجر واحد ..

يضرب الأغلبية التي من المصريين ، بإرهابهم بقتل اكبر طائفة من المثقفين .

ويضرب بني اسرائيل ، بأن يفهموا بأنهم ليسوا أعز عليه .. من قومه الذين صلبهم أجمعين ..

فلو فكروا في الانتفـــاض عليه ، فهذا مصيرهم أجمعين ..

﴿ أتذَرُ موسى وقومَهُ لِيُفسِدوا في الارض ويَذَرَكَ وآلهتَكَ ﴾ !!

فماذا قال اللعين ؟!

﴿ قال سنُقَتِّلُ ابناءَهم ونَسْتحيِي نساءَهم

﴿ وإنا فوقَهم قاهرونَ ﴾ !.

هذه هي الخطة الجهنمية لهذا اللعين !

القتل .. القتل ..

قتل العلماء ..

﴿ لأصلّبنكم اجمعينَ ﴾ !.

وها هو يأمر ، بتقتيل قوة المقـــاومة ، في بني اسرائيل ، تقتيل الأبناء !

انه جنون الحُكم ..

وجنون الاستكبار بغير الحق ..

وجنون العظمة ؛ وهو شر أنواع الجنون ..

وهذا النوع من الجنون ، الذي يمنع الإنسان من كل خير ..

سجله عليه .. موسى عليه السلام :

﴿ وإني لأظُنُّك يا فرعونُ مَثْبورا ﴾ ! •

أي .. ملعوناً .. ممنوعاً من الخير ..

أي .. مصاباً بجنون العظمة !

﴿ ذَرُوني ..

أُقتلْ ..

موسى ﴾ ..؟!

التقطت بطولة موسى ..

قـــلوب الشباب ..

والبطولة هي المغنـاطيس ، الذي يلتقط أفئـدة الشباب ..

وكان النصر الساحق الماحق ، الذي حققـــه موسى .. في يوم الزينة ، أمام الملايين ..

حين التقمت عصاه ، جميع مـــا في الساحة ..

هو اللحظة التي تقررت فيها ، بطولة موسى أمام الجميع ..

الأعداء بهرهم .. حين قهرهم وعلى رأسهم فرعون ..

والانصار ازدادوا تعلقاً به .. لما شاهدوا على يديه ..

وصار موسى .. بطلاً أسطورياً عند الجميع ..

وحديثاً يتحدث عنه الجميع ..

ودوّت شهرته في أنحاء العالم ..

وها هنـا اشتد شعور فرعون بالخوف منـه .. على عرشه وكيانه كله ..

إن اعجـاب الجماهير بموسى .. يزداد ويزداد ..

والناس حين يجدون مَن يتصدى للطـاغية .. يعجبون به .. ولكن دون إظهار هذا الإعجاب .. خوفاً من بطش الطاغية ..

فالمسألة في منطق فرعون .. ليست مسالة حق وباطل ..

وإنما هي مسالة ، عرش أو لا عرش ؟!

هل يبقى هذا العرش الذي يجلس عليه ، أم يزول بتهـديد موسى ؟!

هذا هو محور الصراع .. في رأس فرعون !

بينما موسى .. لم يطلب عرشاً .. ولم يفكر في تهـديد عرش فرعون ..

وإنما هو يطلب من فرعون ، أن يسمح له .. ولقومه بني اسرائيـل .. بالخروج من مصر ، فيستريح منهم !

ثم ازداد إحساساً بالخطر ، حين رأى بني اسرائيل .. يقيمون معابد في المناطق التي يسكنون فيها .. ويعبدون فيها ربهم !

إذاً لقد بدأ التنظيم في صفومهم .. تنظيم المقـاومة السرية .. صحيح أنهم يقيمون فيهـــا الصلوات ، ولكن هذا يوحد صفوفهم ويجمع شتاتهم .. بعد ان كانوا عبيداً لا وزن لهم ..

ويزيدهم قوة أن هذا الرجل الخطير .. الذي اسمه موسى .. على رأسهم !

إذاً لا بد من تخطيط مضاد ..

وفكّر الشيطان الاكبر .. وكان تخطيطه امتداداً لما فعله بالسحرة .

إبادة للشباب الذين آمنوا بموسى ..

إبادة للزعامة .. التي يتجمعون حولها .. بقتل موسى !.

وبذلك يفرغ من المشكلة بجميع أطرافها !

وكان لا بد من شن حرب الدعاية .. تمهيداً لتلك الاحداث ..

فأمر زبانيته ، بحشد الشعب كله .. في مؤتمر شعبي عـــام .. لتجديد الولاء للملك المقدس ..

﴿ فحَشَرَ فنادَى ..

﴿ فقالَ انا ربُّكمُ الأعلى ﴾ !.

فحشر ؟! فجمع الشعب في مؤتمر عام ..

فنادى ؟! فأعلن فيهم .. بلغة العصر الحديث .. وأعلنت أبواق الدعاية من بعده ..

فقال .. للحشد المجتمع ، الملايين المرصوصة ..

انا ربكم الأعلى ؟! انا سيدكم الأعلى ، وانتم جميعا عبيدي ..

وهم يسمعون .. ولا يتكلمون !

ثم جعل يخطب خطاباً مستفيضاً .. ينبه فيه إلى خطورة هذا الرجل المسمى موسى .. وإلى افتضاح امره حين تآمر مع آلاف السحرة لقلب نظام الحكم في البلاد .. إلى آخر هذه الافتراءات التي يتقن الدكتاتوريون اتهام اعدائهم بها !

« ونادى فرعونُ في قومهِ قال :

« يا قوم » ..

يا شعبي !.

« أليس لي مُلكُ مصر

« وهذه الانهارُ تجري من تحتي

« أفلا تُبصرونَ » ؟!.

شعبي .. اليس لي مُلك مصر .. حق ثابت لي .. ورثته عن اجدادي ..

فكيف ينازعني فيه هذا الرجل الحقير الخائن، الذي يزعم انه رسول ؟!

افلا تبصرون ؟! هل هنـــاك من احد منكم يشك ادنى شك في ذلك ؟!

فتعالت الهتافات، الموت الخونة .. مصر للمصريين، لا مكان للخونة في صفوفنا بعد اليوم!

﴿ أمْ أنا خيرٌ مِن هذا الذي هو مَهينٌ ولا يكادُ يُبينُ ﴾ .

سؤال خبيث يطرحه على الشعب .. وهو يعلم مقدماً، ان أحداً لن يجرؤ على الإجابة بغير ما يشتهي !

أنا .. احسن .. ام هذا الذي هو مهين، حقير .. لا حق له حتى ان يتكلم، لأنه لا يحسن النطق إذا تحدث !

إنه رجل من العبيد .. الاذلاء الفقراء .

ثم لوح فرعون بيده، فبدت اساور الملك الذهبية التي يرصعها حول يديه .. ثم قـال :

﴿ فلولا أُلقيَ عليهِ أسْوِرَةٌ مِن ذهَبٍ ﴾ ..

هل يحمل كما أحمل شارات الملك .. وأساور الملوك ؟!

ثم ان كان كما ذهب به الجنون، رسولاً من ربه، فاين دليله على ذلك .. لولا ارسل معه ربه ملائكة من عنـده، يقولون لنـا

هذا رسول !

﴿ او جاءَ معهُ الملائكةُ مقترنينَ ﴾ ؟!

وهكذا لعب بعقولهم .. واستخف بها ..

فجدّدوا الولاء .. وأكدوا الطاعة .. وحقق فرعون منهم غرضه الخبيث وهو تمهيد الاذهـــان لقتل غريمه .. موسى ..

﴿ فاستخَفَّ قومَهُ ﴾ ..

استخف بعقولهم ، التي الغاها بنظامه الاستبدادي الذي لا يسمح لأحد بالتفكير ..

« فاطاعوهُ » فوراً . اطاعوه جميعاً .. في كل ما يقوله لهم ، وكل مـا يريده منهم ..

فاطاعوه ؟! طاعة عمياء .. لا معارضة .. ولا تفكير في معارضة .

﴿ إنهم كانوا قوما فاسقينَ ﴾ ..

كانوا شعباً خرج عن كل الحدود ، وتجاوز المعقول إلى الاستسلام للخنوع !

فلما مهد المذكور أذهان الشعب بدأ سياسته الاجرامية ..

فعقد مجلس إجرامه لبحث خطة إبادة أعداء الشعب .

﴿ وقالَ الملأُ مِن قوم فرعونَ ﴾ ..

اصحاب السلطة من حوله ..

﴿ اتذرُ موسى وقومَه ليُفسدوا في الارضِ ﴾ ..

في المملكة ، ويرفضوا السُّخرة ، ويرفعوا رءوسهم ، ويعبدوا رب موسى وهارون ..

﴿ ويذرَكَ وآلهتكَ ﴾ ..

ويترك ديانتنا المقدسة ، ويرفض عبادتك ، وعبـــادة آلهتك المقدسة .. يا ابن الآلهة !.

فاعلن اليهم خطته الجهنمية :

﴿ قال : سنُقتّل ابناءَهم ﴾ ..

سنقتّل !. بسبب وبدون سبب .. سنلفق لهم الاتهامات لنقتلهم ، ونذبّح شبابهم ..

﴿ ونستحيِ نساءَهم ﴾ ..

فلا وزن للنساء .. ثم نستمتع بهن ..

﴿ وإنا فوقهم قاهرونَ ﴾ ..

وماذا يستطيع ان يفعل هذا الموسى .. وقومه من العبيد .. الذين يئنون تحت السُّخرة ..

وفي سورة غافر :

قالوا

﴿ اقتلوا أبناءَ الذينَ آمنُوا معَهُ واستَحيُوا نساءُهم ﴾ ..

اقتلوا أبناء ، اقتلوا الشباب ، اقضوا على قوة المقاومة فيهم !.

إن فرعون في رعب شديد ، من هؤلاء الشباب ، بقيادة موسى .

وفي نفس الوقت .. هؤلاء الشباب في رعب من تعذيب فرعون ..

﴿ فما آمنَ لموسى إلا ذُرِّيةٌ مِن قومِهِ

﴿ على خوْفٍ من فرعونَ وملئِهم أن يَفتِنَهُم

﴿ وإنّ فرعونَ لعالٍ في الارض وإنهُ لمنَ المسرفينَ ﴾ !.

ذرية .. شباب .. دم جديد .. فيه جرأة الشباب ..

على خوف .. خوف شديد .. دائم ..

أن يفتنهم .. ان يعذبهم عذابه الرهيب ..

وكان لا بد من ترتيب المقاومة السرية الصامتة .. من موسى ..

﴿ وأوْحينا الى موسى واخيهِ

﴿ أن تبوّءا لقومكما بمصرَ بُيوتا

﴿ واجعلوا بُيوتكم قِبلةً

﴿ وأقيموا الصلاةَ

﴿ وبشّرِ المؤمنينَ ﴾ ..

هذه هي خطة المقاومة السرية .. ضد فرعون وتنظيماته ..

بيوتاً .. اتخذوا بيوتاً .

واجعلوا بيوتكم قبلة .. معبداً .. تتعبدون فيه لربكم ..

واقيموا الصلاة .. واجتمعوا فيها للصلاة .

تنظيم عجيب .. وترابط أعجب !

واحس فرعون بالخطر ..

إن أعداءه يتجمعون .. وهذه المرة على رأسهم قائد من أخطر القادة السياسيين .

ولا مناص من إزالة هذه الزعامة ، التي يتجمع حولها هؤلاء ..

« وقالَ فرعونُ :

﴿ ذروني أقتُلْ موسى

﴿ ولْيدْعُ ربَّهُ

﴿ إني أخافُ أن يُبدّلَ دينكم

﴿ أو ان يُظهرَ في الارضِ الفسادَ ﴾ ..

« اتقتلونَ رَجُلا ..

ان يَقولَ ..

ربِّيَ اللهُ » ؟!

بلغت الأمور ..

مرحلة اللاعودة .. بين فرعون وموسى ..

ففرعون قد استيأس من امكان القضاء على موسى ..

وموسى تأكد عنده أن فرعون لن يؤمن بشيء مما يدعوه اليه ، وانه في نظره مجرد ساحر !

أما فرعون .. فلا رأي عنده إلا قتـــل موسى ..

﴿ ذروني اقتُلْ موسى ﴾ ..

وأمـــا موسى ..

﴿ وقال موسى : ربَّنا إنكَ آتيتَ فرعونَ ومَلأهُ زينةً واموالاً في الحياة الدنيا ربّنا ليُضِلوا عن سبيلِكَ

﴿ ربّنا اطمِسْ على امْوالهِم واشدُد على قلوبهم فلا يُؤمنوا حتى يَرَوُا العذابَ الاليمَ ..

﴿ قال : قد أجيبَت دعوتُكما فاستَقِيما ولا تتّبعانّ سبيلَ الذين لا يعلمونَ ﴾ ..

ليس هناك أدنى أمل في إيمـــان فرعون .. أو شعبه ..

لماذا !. بسبب ما هم فيه من نعيم .. هذا هو حجابهم .. فلا بد من كشط تلك الحجب

﴿ اطمِسْ على أموالِهِم ﴾ ..

وحتى إذا كشِطت هذه الحجب .. فلن يؤمنوا .. ولن يستسلموا لرجـــل فقير . من العبيد .. من بني إسرائيل !.

ولن يُطلقوا هؤلاء العبيـــد !.

﴿ وقالوا . مَهْما تأتِنا بهِ من آيةٍ لتَسحَرَنا بها فما نحنُ لكَ بمؤمنينَ ﴾ ..

تركيب إجرامي .. وتفكير فرعوني !.

﴿ وجَحدُوا بها

﴿ واستَيْقنَتها أنفسُهم

﴿ ظُلما وعُلوًّا

﴿ فانظُرْ كيف كان عاقبةُ المفسدينَ ﴾ ؟!.

هم على يقين أن موسى على حق ..

ولكن تركيب الظلم .. وتركيب العُلوّ .. يمنعهم أن يستجيبوا للعبيد !.

بلغت الأمور .. إلى مرحلة اللاعودة .. بين فرعون وموسى ..

أما فرعون فلجأ إلى السُّلطة المطلقة التي في يديه .. يستعملها في القضاء على أعـــدائه :

﴿ ذروني اقتُلْ موسى !.

﴿ سنُقَتِّلُ أبناءهم ﴾ !.

وأما موسى .. فلجأ إلى ربه ..

﴿ وقال موسى : إني عُذْتُ بربي وربّكم من كلّ متكبرٍ لا يُؤمنُ بيومِ الحسابِ ﴾ !..

ولما ضج اليه بنو إسرائيل .. من عذاب فرعون وإجرامه :

• قال موسى لقومهِ .

﴿ استعينوا باللهِ واصبروا

﴿ إنّ الارضَ للهِ يُورثها مَن يشاءُ مِن عبادِهِ

﴿ والعاقبةُ للمتقين ﴾ !..

فازداد قوم موسى ألماً على آلامهم التي لا تنتهي .. إنهم قصة عذاب طويل واضطهاد مرير لا نهاية له ..

قبل موسى .. عذاب ..

وبعد إرسال موسى .. عذاب .. أما لهذا الليل من آخر ؟!

﴿ قالوا : أوذينا مِن قبل ان تأتِيَنا .
﴿ ومن بعدِ ما جِئتنا ﴾ ..

مـــا رأينا راحة قبلك .. ولا بعدك يا موسى ..

مرارة .. وألم .. وليل أسود بهيم !.

« قال :

﴿ عسى ربُّكم ان يُهلِك عدُوَّكم
﴿ ويَستخلفَكم في الأرض فينظُر كيف تعملون ﴾ ! ..

منطق الأنبياء .. منطق من أفق أعلى ..

بنو إسرائيل يرونها قصة يائسة .. وليلاً طويلاً .. لا أمل فيه ..

وهو يرى النواميس الكلية ، التي تحتم تدمير الظلم .. ونصرة الحق في النهاية ..

﴿ والعاقبةُ للمتقين ﴾ ! ..

ماذا كان من فرعون ؟

دعا مجلس البلاط الملكي إلى اجتماع سري عاجل ..

فجاءه أمراء الأسرة المـــالكة الفرعونية المقدسة على عجَل ..

وتوافدوا اليه في مكانـ سري ، من قصوره المنتشرة في كل مكان بالعاصمة .. وانحاء البلاد ..

ولما اكتمل الحاضرون .. نهض فرعون .. وقد بدا وجهه كأنه رءوس الشياطين ، ثم قال في صوت الآمر الذي لا يناقش :

ان اعظم اسرة مالكة في الارض .. ان عرش الفراعنة المقدس العتيد .. يهتز ويميد .. فماذا انتم فاعلون ؟!

فارتفعت الأصوات .. وقد أحسوا جميعاً بالخطر يتهددهم :

﴿ اقتُلوا ابناء الذين آمنوا معه ُ

واستَحيوا نساءُهم ﴾ ..

فصاح فيهم فرعون :

وماذا يجدي قتل الصعاليك !!

فارتفعت الأصوات : بالقضاء على الشباب .. تنقرض منهم قوة المقاومة ..

فصاح فرعون : يا لكم من أغبياء .. وتتركوا هذا الرجل .. هذا

الساحر الحقير .. الذي يزعم أن له رباً يوحي اليه .. قائماً !

فتنادَوْا : وما الرأي إذن ..

﴿ وقال فرعونُ : ذروني اقتُلْ موسى

﴿ وليدْعُ ربّه ﴾ ..

ثم قهقه ساخراً .. عندما اقتله .. فليرني ماذا يفعل له ربه هذا ..

فرُعبوا هنالك .. كأنهم يخشون أن يفجّر قتل موسى .. الثورة في بني إسرائيل ..

فصاح فيهم فرعون :

﴿ إني اخافُ ان يُبدّلَ دينكم ﴾ ..

ماذا تنتظرون أيها الأغبياء .. اتنتظرون حتى تنتشر دعوته ، ويبدل دينكم ..

﴿ او ان يُظهِرَ في الارض الفسادَ ﴾ ؟..

أو يفصح عن نواياه الاجرامية .. ويقوم بانقلاب يستعمل فيه قومه .. ومن التف حوله من شبابهم !

وحينئذ ستُذبحون جميعاً .. وتُفعل بكم الأفاعيل .. وينتقم منكم أجمعين !

ثم صاح فيهم : أريد قراراً إجماعياً منكم .. بقتل موسى ..

فسكتوا جميعاً .. فصاح فرعون : إذن أنتم موافقون ..

فانتفض من بينهم أمير منهم ، كبير السن .. عليه وقار الحكماء ..

كان هذا الرجل .. ابن عم فرعون .. وكان فرعون يحترمه لرجاحة عقله .. ووفور حكمته ..

وكان ذلك الرجل .. يتابع الأمور .. منذ هبط موسى البلاد .. وما كان بينه وبين فرعون من نضال ..

فآنس الرجل من أول لحظة .. أن موسى .. نبيّ الله ورسوله حقاً ..

وأن ما جاء به من آيات .. هي آيات الله .. وليست سحراً كما يدعي فرعون ..

إلا أنه كان يكتم إيمانه ، حتى لا ينكل به فرعون .. وينتظر اللحظة التي يظهر فيها إيمانه .. حيث يكون من الحكمة والسداد الإظهار ..

انتفض الأمير الكريم ، وهو ثائر غاضب أشد الغضب وصاح فيهم :

﴿ وقالَ رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتمُ إيمانهُ ﴾ ..

رجلٌ .. مؤمنٌ ..

أكرم صفتين لشخصية ما ..

رجل !. إنسان بطل .. اكتملت رجولته.. واستوت بطولته ..

مؤمن !. أعلى صفة من الصفات العليا ..

وإذا وصف الله سبحانه بشراً بهاتين الصفتين .. فقد أثنى عليه ، بجماع الصفات الكريمة ..

وآية رجولته أو بطولته .. أنه هو الصوت الوحيد .. الذي ارتفع في وجه فرعون .. الجبار العنيد ..

وأنه « من آلِ فرعونَ » من أمراء الأسرة المالكة .. بل من أكابر الأمراء .. كان المفروض أن يدافع عن الأسرة .. ولكن وقف يدافع عن موسى .. عدو الأسرة الأول !

وآية اكتمال عقله أنه « يكتمُ إيمانَهُ » .. يبالغ في كتمان هذا الايمان ، عن فرعون وزبانيته .. وعن اهله وعشيرتـه .. فليس هو بالرجـل الاهوج .. الذي يندفع في حماس ويعلن إيمانه .. في هذا الجو الاسود الكئيب .. ولكن لكل أمر ترتيب !

وقف البطل .. وأشق أنواع البطولة التصدي للطاغية ، وهو في عنفوان طغيانه وسلطانه :

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ..

« ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » !..

– أو كما قال – إن هذا الموقف الذي وقفه ، ذلك البطل ،

من أعلى مراتب البطولة !

وقف ثائراً .. وقذفهـــا في وجه فرعون ، كأنها شواظ نار ، يشوي وجهـــه الجهنمي :

﴿ اتقتلون رجلا

ان يقولَ ربِّيَ اللهُ ﴾ ؟!.

أتُجمعون أيها المجرمون ، على قتل رجل ، لا جريمـــة عليه ، إلا أن قـــال .. ربي الله !

في أي عقل هذا يكون ؟

فثار فرعون : ظهرت الخيـانة في صفوفنا .. وأي جريمـة هي اكبر من تبديل ديننا أيهـــا الخائن ؟

فلم يلتفت البطل إلى هذيان فرعون وقـــال :

﴿ وقدْ جاءكم بالبيّنات من ربّكم ﴾ ..

فصاح فرعون مهدداً : أيها المارق المفارق لدين آبائه ، أي بينـات هذه التي تعني .. لعلك خُدعتَ بسحر هذا الكاذب الحقير ..

فواصل البطل حديثه في هدوء الموقنين :

﴿ وان يَكُ كاذباً فعليهِ كذبُهُ

وان يكُ صادقاً يُصبكم بعضُ الذي يَعِدُكم ﴾ ..

فصاح فرعون : انا لست مجنوناً .. لأصدق هذا الساحر المجنون .. واسلم المملكة .. إلى مشعوذ !

فقال البطل :

﴿ إنّ الله لا يهدي مَن هو مسرفٌ كذّابٌ ﴾ ..

وكانت قنبلة فجرها البطل ..

فصاح فرعون وقد نفذ صبره :

تعني أني كذاب .. احكم بلادي .. بالكذب .. فلسوف تعلم مصيرك الأسود .. إن سياسة الشعوب يا هذا .. لا بد فيها من أكاذيب وألاعيب ، وهذا ما لا تستطيع له فهماً ..

أنسلم مُلكنا وعِزّنا وكبريائنا . إلى عبيدنا .. إن هذا لن يكون !

فقال البطل .. وكأنه يتكلم من الأفق الأعلى :

﴿ يا قوم

﴿ لكمُ المُلكُ اليومَ

﴿ ظاهرين في الارض

﴿ فمَن ينصرُنا مِن بأس اللهِ إن جاءنا ﴾ ؟ ..

يا إخوتي .. وبني عمومتي .. يا أعضاء الأسرة المالكة .. صحيح لكم الملك اليوم .. في أيديكم جميع السلطات .. تفعلون ما

تشاءون .. لأنكم ظاهرين في الارض ، بيدكم السُّلطة التي تمكنكم من ذلك .. ولكن نسيتم شيئاً هاماً .. لا بد من عقاب الله لنا على إجرامنا .. ورفضنا الحق المنزل من عنده .. وإذا أخذنا لم يفلتنا .. فسياستكم هذه ستجر علينا الوبال ..

﴿ فمن ينصُرُنا من بأسِ اللهِ إن جاءنا ﴾ ..

من يستطيع يومئذ منعنا من عقاب الله إن نزل بنا ..

وكان فرعون آنس من المجتمعين ميلاً إلى كلام الرجل فصاح :

قال فرعونُ :

﴿ ما أريكمْ الا ما أرى ﴾ ..

لا أسمح لكم أن تقرروا قراراً إلا ما قررت أنا .. وما كان لفرعون أن يكون لأحد معه رأي !.

﴿ وما اهديكمْ إلا سبيل الرشادِ ﴾ ..

وما أوجهكم إلا إلى الطريق الصحيح ، للمحافظة على المُلك والمملكة .. ولا رأي لاحد إذا رأيت أنا أمراً !

هنالك انحاز المجتمعون جميعاً إلى رأي فرعون .. كما اعتادوا في اجتماعاتهم التي يرصهم فيها رص الحجارة ..

ووقف البطل وحيداً لا نصير له .. وقد كلله فرعون بعار

الخيانة العظمى للأسرة المالكة ، ولجميع البلاد !

والطغاة إذا حكموا .. قلبوا الحقائق ، ولوّنوا العقول بما يشاؤن .. وكذلك يفعلون !

هنالك قال البطل :

﴿ وقال الذي آمنَ يا قوم إني أخافُ عليكم مِثلَ يوم الأحزاب .

﴿ مِثل دأبِ قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين مِن بعدهم وما اللهُ يُريدُ ظلماً للعبادِ .

﴿ ويا قوم إني اخافُ عليكم يومَ التنادِ .

﴿ يوم تُولون مُدبرين ما لكم من اللهِ مِن عاصمٍ ومَن يُضلِل الله فما له مِن هادٍ ..

﴿ ولقدْ جاءكمْ يوسُف مِن قبل بالبينات فما زلتم في شكٍ مما جاءكم بهِ حتى اذا هلَك قلـتُم لن يبعث الله مِن بعدِهِ رسولاً كذلك يُضِلُ الله مَن هو مسرفٌ مرتابٌ ﴾ ..

فصاح فرعون : اكفف عنا هذه الأوهام ..

ثم صاح : يا هامان .. سجِّل عليه صكوك الاعدام !

فقال البطل .

﴿ وقال الذي آمنَ : يا قوم اتّبعونِ اهدكم سبيلَ الرشاد ..

﴿ يا قومُ إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وانَّ الآخرةَ هي دار القرارِ ..

﴿ مَن عمِلَ سيئة فلا يُجزى الا مثلها ومَن عمِل صالحاً من ذكر او أنثى وهو مؤمنٌ فاولئك يدخلونَ الجنة يُرزقون فيها بغيرِ حساب .

﴿ ويا قوم ما لي ادعوكمْ إلى النجاة وتدعونني الى النار ..

﴿ تدعونني لأكفُرَ باللهِ وأشركَ به ما ليس لى به علمٌ وانا ادعوكم إلى العزيزِ الغفار ..

﴿ لا جَرَمَ انما تدعُونني اليه ليسَ له دعوةٌ في الدنيا ولا في الآخرة وأنَّ مردَّنا الى الله وأنَّ المسرفينَ همْ اصحابُ النار .

﴿ فستذكرونَ ما اقولُ لكمْ وأفوّضُ امري الى اللهِ انَّ اللهَ بصيرٌ بالعبادِ ﴾ ..

وكانت القاعة السرية .. صامتة صمتاً رهيباً .. والرجل المؤمن يقول ما يقول .. بين قوم قد الغى منهم فرعون العقول ..

فلا التفات لشيء مما يقول ..

وإنما تركوه يُفرغ مـــا عنده .. لان مصيره قد تحدَّد ، وحكم الإعدام قد صدر عليه ، من اللحظة التي اجترأ فيها على معـــارضة قرار فرعون بقتل موسى !

إلا أن الاحداث القادمة ، شغلت فرعون عن تنفيذ جريمتيه ،

جريمة قتل موسى .. وجريمة قتل مؤمن آل فرعون ..

﴿ فوقاهُ اللهُ سيئاتِ ما مكروا

﴿ وحاق بآل فرعونَ سوءُ العذابِ ﴾..

في اللحظة التي قرر فيها فرعون .. قتل موسى .. وقتل هذا المعـــارض ..

واصدر أوامره السرية .. إلى هامان . لتدبير الجريمتين تدبيراً رهيبـــاً ..

في تلك اللحظة .. كانت آيات الله .. الباهرات القـــاهرات الظاهرات ..

تتنزل .. لتذيق فرعون .. وقومه ، أسوأ أنواع العذاب .

فشُل المذكور ، بالدفاع عن نفسه ..

ولم يكن عنده وقت لتنفيذ المؤامرة .. لقتل موسى ، أو قتـل مؤمن آل فرعون !

﴿ فلمَّا جاءَهُم ..

بآياتِنا ..

اذا هُم منها يَضْحكُون ﴾؟!

الاجرام ..

صفة أصيلة في فرعون وقومه ..

﴿ وكانوا قوْماً مجرمينَ ﴾ ..

وكانوا شعباً وحكومة مجرمين !

فموسى عندهم ساحر .. يُتخذ وسيلة للضحك والسخرية !

﴿ وقالوا : يا أيها الساحرُ ادعُ لنا ربَّكَ بما عَهِدَ عندَكَ إننا لمهتدونَ ..

﴿ فلما كشفْنا عنهمُ العذابَ إذا هم يَنكُثونَ ﴾ ..

هكذا ؟! موسى مجرد ساحر ..

ادعُ لنا ربك !. ربك أنت .. أما نحن فلا نعترف بهذا الرب .

وعاهدوه لئن كشف عنهم العذاب .. ان يتبعوه ، فلما كشف

عنهم العذاب ، ضحكوا عليه !

طبيعة الإجرام !

بل ما هو أحط من الاجرام .. اتخاذ معجزات موسى ، على أنها أضحوكة يضحكون بهـا !

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعونَ وملئِهِ فقالَ إني رسولُ ربِّ العالمينَ ..

﴿ فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكونَ ﴾ ؟..

هكذا كانوا ، الموضوع كلـه في نظرهم مجرد موضوع للضحك !

وكان موقفهم الدائم .. وعلى رأسهم اللعين ، هو التكـذيب مهما كانت الآية من الوضوح الذي لا يقبل المنـــاقشة !

﴿ ولقد جاءَ آل فرعونَ النُّذُرُ ..

﴿ كذَّبوا بآياتِنا كلِّها فأخذناهم أخذَ عزيزٍ مُقتدرٍ ﴾ ..

كلها !. موقف ثابت .. موسى ساحر .. والآيات ألاعيب من السحر !

﴿ فلما جاءهم موسى بآياتِنا بينات قالوا ما هذا إلا سحرٌ مفترًى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاوَّلينَ ﴾ ..

كل هذه المعجزات ، ألاعيب ساحر !

اجرام .. وإصرار على الاجرام !

بل ذهب فرعون إلى أبعد من هذا .. ذهب إلى أن موسى نفسه رجلاً مسحوراً ، العوبة في ساحر أكبر منه .. فلا يستطيع موسى الفكاك من تأثيره عليه !

﴿ ولقد آتينا موسى تسعَ آياتٍ بينات فاسألْ بني اسرائيل إذ جاءهم فقالَ لهُ فرعونُ إني لأظنكَ يا موسى مسحوراً ﴾ !..

إني لعلى يقين .. أنك يا موسى مسحوراً .. يلعب بك ساحر ماكر يستعملك في هذه الألاعيب !

ولقد أنزل الله ، تسع آيات .. تسع معجزات واضحات باهرات على امتداد السنين ، وعلى اوسع مستوى من البلاد كلها ..

وكانوا يصرخون ويولولون إذا وقعت بهم الآية ، ولم يجدوا منها مخرجاً .. فيعطوا المواثيق لموسى .. أنهم إذا رفع عنهم تلك المصيبة .. ليؤمنن به .. وليطلقن معه بني إسرائيل ..

ويُكشف عنهم الويل الذي هم فيه .. فإذا هم كعادتهم دائماً ينكثون !

لماذا ؟!. لأن المجرم الذي يحكمهم .. يريد هذا .. لا يريد أن يُهزم

أمام موسى ..

وما دام فرعون تلك رغبته ، فهي رغبتهم جميعاً ..

لقد تعودوا على هذا طيلة حكم الفراعنة المقدس ..

فرعون .. هو الرب وهو الإله ..

وهم جميعاً .. حجارة مرصوصة .. يتكون منها الهرم ، ليتربع على قمته المذكور ..

﴿ ولقد أريناهُ آياتِنا كلَّها فكذَّبَ وأبَى ﴾ ..

أبى ؟! ها هنا عقدته .. كيف أنزل من إله .. إلى عبد !.

ومن رب يُعبد .. إلى رجل يَعبُد !.

إن هذا لن يكون !.

بل ﴿ انا ربُكُم الاعلى ﴾ !!!

تركيب إجرامي .. حوّل الشعب بالقهر والإذلال والارهاب ، إلى عبيد لا رأي لهم ولا تفكـــير ..

يقول لهم .. موسى ساحر .. وهم يرددون من ورائه موسى ساحر ..

ببغاوات .. لا عقل لهـــا ..

حتى لو أدى اصرار فرعون على موقفه ، إلى خراب البلاد .

وضياعها ، فلا مانع .. ما دام فرعون قائمًا فيهم !

إنهم خسروا كل شيء ، وربحوا فرعون !

﴿ ولقد اخذْنا آل فرعونَ بالسنينَ ونقصٍ من الثَّمَراتِ لعلهم يذكَّرونَ ..

﴿ فاذا جاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قالوا لنا هذهِ وان تُصِبْهم سيئةٌ يطَّيَّروا بموسى ومَن معه الا انما طائرُهم عندَ اللهِ ولكنَّ اكثرَهم لا يعلمونَ ..

﴿ وقالوا مهما تأتِنا به مِن ايةٍ لتسحرَنا بها فما نحن لكَ بمؤمنينَ ..

﴿ فأرْسَلْنا عليهمُ الطوفانَ والجراد والقُمَّلَ والضفادعَ والدَّمَ آياتٍ مفصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمينَ .

﴿ ولما وقعَ عليهمُ الرِّجْزُ قالوا يا موسى ادعُ لنا ربَّكَ بما عهدَ عندَكَ لئن كشفتَ عنا الرِّجْز لنؤمننَّ لكَ ولنُرسلنَّ معك بني إسرائيلَ ..

﴿ فلما كشفنا عنهُمُ الرِّجْزَ إلى أجلٍ هم بالغوهُ إذا هم ينكُثونَ ﴾ ..

هذه الآيات سجلت الموقف كله .. بين موسى ، وفرعون وقومه .. أحسن تسجيل ..

آيات مفصلات !

معجزات ، يتلو بعضها بعضاً .. على أزمنة متباعدة متتابعة ، على مستوى البلاد كلها ، بحيث يراها الجميع ، ويصلاها الجميع .. ويولول منهـا الجميع ..

ويضطر الجميع أن يتوسلوا إلى موسى ، أن يكشفها عنهم .. وحينئذ يؤمنوا له .. ويطلقوا معه بني اسرائيل ..

وموسى يستجيب لهم .. ويكشف عنهم العذاب بدعاء الله لهم ..

وهم ينتكسون وينقضون عهدهم في كل مرة .. ويضحكون من موسى .. وعلى موسى ..

﴿ فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكونَ ..

﴿ وما نُريهم من آيةٍ إلا هي أكبرُ مِن أختِها وأخذناهم بالعذابِ لعلهم يرجعونَ ﴾ ..

ولكن لا فـائدة .. ولا جدوى ..

﴿ وجَحدوا بها واستيقنَتْها أنفسُهُم ظلماً وعُلواً ؟!!

﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ ؟..

الملكة آسية ..

في قلب ..

الأحداث ..؟!

زوجة الرجل اقرب الناس اليه ..

وزوجة الملك أعلم الناس بزوجها ، في حياته كلها ..

فأين كانت الملكة آسية .. خلال هذه الاحداث الجسام من حياة فرعون العنيد ؟!

أين كانت .. وما كان موقفها من تلك الصراعات الرهيبة بين فرعون وموسى !.

ومتى آمنت بموسى .. وهل آمنت سراً ، أم أعلنت إيمانها !

اليك القصة من بدايتها إلى نهايتها .. لنعلم مدى ما كانت عليه آسية من العظمة والكمال ..

﴿ لا تقتلوهُ ﴾ ؟!

أمرٌ يكلفها غالياً .. وربما يكلفها حياتها ..

فالمعلوم أن هـذا الرضيـع من بني إسرائيل ، فالمفروض أن يُذبح فوراً .. هذه أوامر فرعون الصريحة ..

وجاء الذبّاحون فعـلاً ليذبحوه ..

فصاحت من أعماقها :

﴿ لا تقتلوه ﴾ ..

متحدية بذلك شعور فرعون الجبار البتّـــار ..

لماذا يُذبح هذا الرضيـع .. ما ذنبه .. ما جريمته ؟!

ها هنا كانت آسية .. ملكة عظيمة .. تضاد أوامر زوجها .. وتكسرها تكسيراً ..

فلم تكن غائبة في زينتها شأن النساء .. ولكن مع الاحداث لحظة بلحظة !!!

﴿ وحرَّمنا عليهِ المراضِعَ ﴾ ؟!

وها هنا موقف خالد من مواقف الملكة العظيمة ..

الرضيع لا يقبل ثدي أيٍّ من النساء ..

فتخرجه آسية إلى السوق عسى أن تجد له من تُرضعه .. فيأبى ..

حتى جاءوها بأمِّه فأقبل على ثديها ..

فماذا كان من الملكة ؟!

فرحت فرحاً عظيماً .. وأعظمت العطاء لأُمِّه ..

وهذه جرأة منها ، على أنها تريد أن تحفظ حياة هذا الطفل ، رغم عداء فرعون لبني إسرائيل !

موسى في قصر فرعون ؟!

أكملت أم موسى رضاعة الطفل ..

فاصدرت آسية أمرها .. بانتقاله إلى القصر الملكي ..

لتتم تربيته أمام عينيها .. داخل القصر ..

فما معنى هذا ؟!

معناه أن الطفل هو شغل آسية الشاغل .. وأن هذا الفرعون لا تقيم له وزناً ..

تتركه يلهو في إجرامه .. وتحرص هي على رعاية هذا المولود أتم رعاية !!

فرعون يأمر بقتل موسى ..

ووجد فرعون الفرصة سانحة له .. حيث ثبت أن موسى هو قاتل المصري .. الذي استغاثه عليه الإسرائيلي .. فأمر فرعون بالقبض على موسى فوراً ، وقتله قِصاصاً ..

ولم تستطع الملكة آسية هنا .. أن تصنع شيئاً لانقاذ موسى ..

حيث قد أتقن اللعين تدبيره للقبض على موسى ليقتلوه ..

إلا أنها تنفست الصعداء.. حين أفلت موسى من مطاردتهم.. ووصل إلى خارج البلاد !!

لا شك أن الملكة ، كانت تحترق قلقاً على مصير موسى .. والدولة كلها تبحث عنه ليقتلوه !!

إلا أن عزاءها .. أن موسى .. لم يزل حيّاً ، وإن كانت قد حيل بينها وبين رؤيته !!

مفاجأة العودة ؟!

حتى إذا استيأست الملكة أن يعود موسى مرة أخرى إلى مصر ..

فوجئت به يعود .. نبيّاً رسولاً ، يتحدى فرعون .. ويقف ضده شامخاً !

لقد عاد الذي تبنّته .. وأحبّته .. ليدمر عرش فرعون تدميراً ..

فأحبته هذه المرة حبّين ..

حبّ الأم .. وحب الإيمان ؛ جاء به من رب العالمين ..

فاشتعل فؤاد آسية حبّـاً ..

وقررت أن تقف إلى جواره .. رغم جبروت فرعون وإجرامه ..

وازداد بغض فرعون لموسى هذه المرة ..

ففي المرة الأولى .. كان مجرد طفل تتسلى به امرأته ..

أما هذه المرة ، فهو قوة ضاربة لعرشه ، يزلزل عليه مُلكه ؛ ويرفع رءوس بني إسرائيل في وجهه القبيح !

وآنس فرعون من جانب امرأته ميلاً إلى موسى ، وانحيازاً إلى دعوته ، فبث من حولها العيون ، ترقب حركاتها !

فتحركت الملكة في حذر شديد ..

بحيث لا يستطيع فرعون أن يسجل عليها خيانة له ، فيأمر بذبحها !!

كانت تبغضه .. وتبغض إجرامه .

إلا أنها لا تستطيع فكاكاً !!

اللحظة الفاصلة ؟!

حتى كانت اللحظة الفاصلة ..

وأذِنَ فرعون لموسى وهارون .. أن يتشرفا بمقابلته !!

أين كانت الملكة في تلك اللحظة !

أكبر الظن أنها كانت حاضرة .. ضمن الحاضرات من نساء القصر .. بل على رأسهن باعتبارها الملكة الرسمية ..

لقد حرص فرعون أن يحضر هذا اللقاء كبراء العرش .. رجالاً ونساء ، ليتلذذ تلذذ الملوك ، حين يُنكِّلون بخصومهم على ملأ من الناس ..

ها هو فرعون على عرشه ، يتيه كِبراً وعُلواً ..

ومن حوله عظماء البلاد .. وسيدات الدولة وعلى رأسهن الملكة آسية .

وجيء بموسى وهارون ..

وكادت الملكة تخرج عن طورها .. وتهرع الى موسى تعلن اليه شوقها .. ان رأته بعد عشر سنين !!

الا انها كظمت شوقها .. وتململت في مجلسها .. حتى لا يفتضح امرها !!

ودخل الكليم .. عليه السلام يتبعه هارون ..

وتهامس الحاضرون : ماذا يكون !

وقالت الملكة في نفسها : لقد جاءت ساعة الخلاص من هذا الفرعون الأفّاك !!

ورأت الملكة مشهداً هزّ أعماقها هزّاً عنيفاً ..

وأيقنت من بعده .. ان موسى .. رسول الله .. حقاً وصدقاً ..

حين شهدت موسى ، يدخل إلى القاعة ، عليه جلال ليس كمثله جلال .

لقد ازداد وجهه جمالاً على جمال ..

وبهرها منه أكثر وأكثر ، أنه لم يطأطىء رأساً لفرعون كما يقضي بذلك البروتوكول حين التشرف بمقابلة الملك المقدس ..

ولكن دخل عالياً .. معتزاً .. لا يابه بفرعون ..

ثم ناداه باسمه مجرداً من القاب التعظيم ..

﴿ يا فرعونُ ..

﴿ انّي رسولٌ مِن ربِّ العالمينَ ﴾ ..

فامتلأ فرعون غيظاً .. أن جرُؤ موسى أن يحدثـه حديث الندّ للندّ ..

ولكن امرأة فرعون ، امتلأت فرحاً ، من جرأة موسى ، وقهروتـه فوق فرعون !!

وسمعت آسية لأول مرة في حياتها ، أمواج النور تترقرق من فم الكليم ، يسابق بعضهـا بعضاً ..

سمعته وهو يحاور فرعون ، ويقـــابل سخريته .. بمنطق الانبيـــاء ..

فرعون : فمن ربُّكما يا موسى ؟

موسى : ربُّنا الذي اعطى كلَّ شيء خَلقَه ثم هدَى .

وسمعت الملكة كُلَّ ما قـــال موسى .. وآمنت به .. إيمـاناً ..

إيمان معرفتها بموسى صغيراً .. وأنها لم تعهد عليه كذباً قطّ ..

وإيمان يقينها أن ما يقوله الآن موسى ، محال ان ينطق به إلا نبيّ من عند الله !!

وزادها إيماناً أن زوجها الآن يبدو حقيراً ذليلاً . رغم زهوه على عرشه .. امام موسى .. الذي لا يملك سلطاناً كسلطان فرعون !

أضف إلى ذلك أن آسية تعلم أن زوجها أفّاكٌ كذّابٌ .. يخرج من أكذوبة إلى اكذوبة ، ومن جريمة إلى جريمة أكبر يستر بها اجرامه !

وضحكت الملكة في أعماقها حين أفلس فرعون أمام موسى ، فصاح في الحاضرين :

﴿ ان رسولكمُ الذي أرسِلَ اليكم لمجنونٌ ﴾ ..

ثم ازدادت ضحكاً في أعماقها حين أتبع افلاسه بإفلاس أغرب .. فاصدر إلى هامان أمره :

﴿ فأوقِدْ لي يا هامان على الطينِ ..

﴿ فاجْعل لي صَرحاً ..

﴿ لعلي اطّلعُ الى الهِ ُموسى

﴿ واني لاظنّهُ مِنَ الكاذبينَ ﴾ ..

ثم تاكد إيمانها بموسى . حين أشهر زوجها افلاسه .. فهدّد موسى :

﴿ لئنِ اتخذْتَ الها غيري

﴿ لأجعلنّكَ مِن المسجُونينَ ﴾ ..

وقالت الملكة في نفسها : لو كان فرعون على شيء ، لدحض حجة موسى بالحجة .

ومن حيث أنه عجز عن ذلك ..

فموسى على الحقّ .. وفرعون على الباطل !

الملكة آسية .. تُغرق في الضحك ؟

إلا أن الملكة العظيمة ، بلغ سرورها اقصاه ، وجعلت تغرق في الضحك إلى منتهاه ..

ولكن في صمت وحذر .. بحيث لا يلحظ مَن حولها شيئاً من سرورها .

فجعلت تتململ في مجلسها تملل الضائق ، وهي في حقيقتها تتململ مما تكظم من سرور !

وكان المشهد الذي فجَّر سرورها .. حين قال موسى لفرعون :

﴿ أوَ لوْ جئتُكَ بشيءٍ مُبينٍ ﴾ ؟!.

فاستخف به فرعون وقال :

﴿ فأتِ بهِ إن كنتَ من الصادقينَ ﴾ ..

كانت القاعة الرائعة النقوش .. تبدو صامتة صمتاً تاماً ..

وجعلت الملكة تفكر : ماذا عند موسى .. يقدمه في هذه اللحظة ؟!

وفجأة .. وعلى الفور .. كانت المفاجأة العجيبة !

﴿ فألقي عصاهُ

﴿ فاذا هي ثعبانٌ مُبينٌ ﴾ !..

وجعل الثعبان يتضخم ويتضخم .. ويهتزّ ويهاجمهم جميعاً .. ويفتح فمه الرهيب ليبتلعهم اجمعين !

فجعلوا يفرون مذعورين ..

ثم توجه الثعبـــان إلى فرعون ليبتلعه .. ففرَّ عن كرسيه مذعوراً .. والثعبان يحاصره ويداوره ..

حتى احدثَ المذكور .. وبالَ على نفسه !!

هـا هنا ضجَّت آسية ضاحكة .. ولكنهـــا لم تظهر شعورها !!

وجعلوا يولولون ويتوسلون إلى موسى .. وفرعون على رأسهم أن يكفَّ عنهم هـذا الثعبان ..

فاخذه موسى بيده .. فعاد عصا كما كانت !

وازدادت آسية إيماناً مع إيمـانهـا ..

وعلمت هنالك أن قدرة الله هي التي تفعـــل !

الملكة تشهد آية أخرى ؟!

لم يترك موسى لهم فرصة يفيقون فيهـا من الدهشة ..

وإنما فاجأهم بآية أعجب من أختها !!

﴿ ونزعَ يدَهُ فاذا هي بيضاءُ للناظرينَ ﴾ !..

تتشعشع بشعاع يطمس شعاع الشمس !!

فهل خضع اللعين لتلك الايات ؟!

كلا .. ازداد عُتوّاً ونفوراً !!

﴿ أجِئتَنا لتخرجَنا من ارضِنا بسحركَ يا موسى ؟!

﴿ فلنأتينّكَ بسحرٍ مثلِهِ

﴿ فاجعلْ بيننا وبينك موعداً لا نُخلفُهُ نحن ولا انتَ مكاناً سُوى ﴾ !..

فقال موسى :

﴿ موعدُكم يومُ الزينَةِ ﴾

وانفضوا .. وعادت الملكة إلى جناحها ..

تطوي إيمانها في صدرها ..

وجعلت تفكر في نفسها : سوف يجمع فرعون آلاف السحرة لموسى .. فكيف يمكن لموسى أن ينتصر على هؤلاء جميعاً ؟!

الملكة تشهد يوم الزينة ؟!

واحتشدت الملايين ، في ساحة العرض الكبرى ..

وجلس فرعون عالياً على المنصة الملكية .. ومن حوله كبراء البلاد ..

واحتشدت عظيمات النساء كذلك .. وعلى رأسهن الملكة المقدسة آسية الجميلة ..

وُجمع بنو إسرائيل جميعاً في جانب حول الساحة .. ليزدادوا ذلاً على ذُلٍّ .. حين يشهدون هزيمة موسى !

ووقف موسى .. وحده ..

بجانبه هارون ..

وقـــالت الملكة في نفسها : ماذا عسى أن يصنع موسى مع هؤلاء الالاف من أساتذة السحر ؟!

واشتد بها القلق .. واستبدّ بها الخوف !!

ورُعبت آسية رُعباً شديداً .. حين القى السحرة حبـــالهم

وعصيّهم .. فتحولت إلى ثعـابين تسعى وتتحرك وتضطرب في الساحة ..

وموسى يقف وحده .. لا حول له ولا قوة !!

وفجأة .. شهدت الملكة .. أمرا عجبا ..

﴿ فألقى موسى عصاه

﴿ فإذا هي تلقفُ ما يأفكونَ ﴾ !

تحوّلت عصا موسى .. إلى ثعبان .. جعل يتضخم ويتضخم ويبتلع آلاف الحبال والعصي التي في الساحة ..

ثم تحرك نحو المنصة الملكية ليبتلعها بمن عليها !!

هنالك أيقنت الملكة العظيمة .. أن الله مع موسى ..

وأنّ ما حدث هو مظهر من مظاهر القدرة الإلهية !



المجنون يأمر بقتل .. علماء مصر ؟!

وبينما الملكة في سرورها وسعادتها .. بنصر الله لموسى وهارون ..

سمعت زوجها اللئيم يصدر أمراً غاية في اللؤم والخسّة !!

قال وهو يغلي غضباً وحقداً :

﴿ فلأقطّعنّ ايديَكم وارجُلَكم مِن خلافٍ

﴿ ولأصلّبنّكم في جُذوعِ النخل

﴿ ولتعلمُنّ أيُّنا اشدُ عذابا وابقى ﴾ !..

كيف يجرؤ هؤلاء الكلاب أن يؤمنوا بموسى قبل أن آذنَ لهم ؟!

وشهدت الملكة ١٢٠٠٠ عالم وهم يساقون في الساحة إلى حيث يُقتلون صلْباً تنفيذاً لأمر المجرم العنيد !!

وأيقنت آسية آنذاك أن زوجها لم يعد يملك إلا ان يلجأ

إلى تقتيل خصومه للخلاص منهم سريعاً ..

فها هو يقتل مرة واحدة آلاف العلماء .. ليرهب بقتلهم سائر طبقات الشعب !!

وعادت الملكة من ساحة العرض إلى قصرهـــا ..

تكاد ان تظهر سرورها بما وقع من نصر الله ..

بينما عاد فرعون حانقاً .. ليدبر لقتل موسى .. رأس الفتنة، كما يراه !!

﴿ ذرُوني أقتلْ موسى ﴾ ؟!

ليس من جريمة هي اكبر من جريمة قتل الأنبيـاء !

كيف وهذا الكلب المسعور .. يريد أن يقتل عظيماً من عظماء الأنبيـاء ؟!

وعقد اللعين مؤتمراً سريـاً في قصره على عجل لترتيب قتـل موسى ..

وأحـاط الاجتماع بشتى طرق الكتمان ..

إلا أن الملكة استطاعت بدهائها .. وعيونها .. ان تصل إلى ما دار في الاجتماع ..

وعلمت ان فرعون مُصرّ على قتل موسى ..

وأن مؤمن آل فرعون .. وهو ابن عمه ..

عارض ذلك معارضة متواصلة ..

فـــاتهمه فرعون بالخيانة العظمي .. وهدده بالاعدام هو الآخر !!

وصاح فيهم :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ ﴾ !!

هنالك استتم لاسية إيمـانها ..

فانتقلت من امرأة تكتم إيمـانها ..

إلى امرأة تعلن إيمـانها .. في اشد الظروف قسوة .. وأشدها تضحية في سبيل الله ..

فكيف كان ذلك .. وكيف سارت الأحـداث ؟!

فرعون يحرق ..

ماشطة ابنته ..

ويحرق اطفالها ..؟!

عن ابن الأثير .. في اختصار :

« وكان مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه .

« فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر إيمانه .

« وكان له امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً .

« وكانت ماشطة ابنة فرعون .

« فبينما هي تمشطها إذ وقع المشط من يدها .

« فقالت : بسم الله .

« فقالت ابنة فرعون : أبي ؟

« قالت : لا .. بل ربي وربك .. ورب أبيك .

« فأخبرت أباها بذلك .

« فدعا بها وبولدها وقال لها : مَن ربك ؟

« قالت : ربي وربك الله .

« فامر بتنوّر نحاس فاحمي ، ليعذبها وأولادها .

« فقالت : لي اليك حاجة .

« قال : وما هي ؟

« قالت : تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها .

« قال : ذلك لك .

« فامر بأولادها فأُلقوا في التنور واحداً واحداً .

« وكان آخر أولادها صبياً صغيراً .

« فقال : اصبري يا أمّاه ، فإنك على الحق .

« فالقيت في التنّور مع ولدها » !

ثم يقول :

« وكانت آسية امرأة فرعون .. مؤمنة تكتم إيمانها .

« فلما ُقتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها .

« كشف الله عن بصيرتها ، وكانت تنظر اليها وهي تعذّب .

« فلما رأت الملائكة قوي إيمانها وازدادت يقيناً وتصديقاً

لموسى .

« فبينما هي كـذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة .

« قالت له آسية : الويل لك ! ما اجرأك على الله ؟

« فقال لها : لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى المـاشطة ؟

« فقالت : ما بي من جنون .. ولكني آمنت بالله تعالى .. ربي وربك .. ورب العالمين .

« فدعا فرعون أمّـها وقال لها : إن ابنتك قد اصابها ما اصاب الماشطة فاقسم لتذوقن الموت او لتكفرن بإله موسى .

« فخلت بها أمها وارادتها على موافقة فرعون .

« فابت وقالت : أمّـــا ان اكفر بالله فلا والله !

« فامر فرعون حتى مُدَّت بين يديه أربعة اوتاد .

« وعُذّبت حتى ماتت .

« فلما عاينت الموت قـالت :

﴿ رب ابنِ لي عندَك بيتاً في الجنةِ ونجّني من فرعونَ وعملهِ ونجّني منَ القومِ الظالمينَ ﴾ ..

« فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما اعدّ لهـــا من الكرامـة .

« فضحكت .

« فقال فرعون : انظروا إلى الجنون الذي بها .

« تضحك وهي في العذاب .

« ثم ماتت » !!

الملكة آسية ..

تستشهد ..

في تعذيبها ؟!

لو

جمعت اقلام البلغاء فكانت قلماً واحداً .. لرايته عـــاجزاً عن تصوير عظمة ذلك المشهد الالهي .. مشهد استشهاد الملكة آسية !!!

امرأة ناشئة في الورد من أيامهـا .. ومثلها لا تحتمل وخز إبرة ..

تستعلي على أشق الوان التعذيب .. وتحتملهـــا . صابرة لا تتزحزح .. وتفيض روحها وهي تضحك !!!

سيدتي .. سيدة نساء العالمين ..

حيّاك الله .. حين عذّبوكِ .. وحين آثرتِ الموت عـلى الحيـــاة !!!

ماذا قال ابن كثير ؟!

في تفسير سورة التحريم قال

« كانت امرأة فرعون .. تعذب في الشمس .. فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها .. وكانت ترى بيتها في الجنة ..

« وكانت امرأة فرعون تسأل مَن غلب ؟. فيقال غلب موسى وهارون .. فتقول : آمنت برب موسى وهارون ..

« فارسل اليها فرعون .. فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها .. فإن مضت على قولها .. فألقوها عليها .. وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي ..

« فلما أتوها .. رفعت بصرها إلى السماء .. فأبصرت بيتها في الجنة ..

« فمضت على قولها .. وانتزعت روحها ..

« والقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ..

« وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم .. رضي الله عنها ..

« وعن أبي العالية قال : كان إيمان امرأة فرعون .. من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ..

« وذلك أنها جلست تمشط ابنـة فرعون .. فوقع المشط من يدها .. فقالت : تعس من كفر بالله .. فقالت لها بنت فرعون ، ولكِ رب غير أبي ؟

« قالت : ربي ورب أبيكِ ورب كل شيء الله ..

« فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها ..

« فأرسل اليها فرعون فقال : تعبدين رباً غيري ؟!

« قـــالت : نعم .. ربي وربك ورب كل شيء الله .. وإياه أعبد ..

« فعذبها فرعون .. واوتد لها اوتادا .. فشد يديها ورجليها .. وارسل عليها الحيات .. فكانت كذلك ..

« فأتى عليها يوماً فقال لها : ما انت منتهية ؟

« فقالت له : ربي وربك ورب كل شيء الله ..

« فقال لها : إني ذابح ابنك في فيكِ إن لم تفعلي ..

« فقالت له : اقض ما انت قاض ..

« فذبح ابنها في فيها !!!

« وإن روح ابنها بشرها .. فقال لها : أبشري يا أماه .. فإن لكِ عنـد الله من الثواب كذا وكذا .. فصـبرت ..

« ثم أتى عليها فرعون يوماً آخر .. فقـــال لها مثل ذلك ..

« فقالت له مثل ذلك !!

« فذبح ابنها الآخر في فيها !!!

« فبشرها روحه أيضاً .. وقال لها : اصبري يا أماه .. فـإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا ..

« قـال : وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنهـا الاكبر ثم الاصغر ..

فآمنت امرأة فرعون ..

« وقبض الله روح امرأة خـازن فرعون ..

« وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتهـــا وكرامتها في الجنة .. لامرأة فرعون .. حتى رأت ..

• فازدادت إيماناً ويقيناً وتصديقاً ..

• فاطلع الله فرعون على إيمانها ..

• فقال للملأ : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟

• فاثنوا عليها ..

• فقال لهم : إنها تعبد غيري ؟!

• فقالوا له : اقتلها !!

• فأوتد لها اوتاداً ..

• فشد يديها ورجليها !!

• فدعت آسية ربها فقالت :

﴿ رَبِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ﴾ ..

• فوافق ذلك أن حضرها فرعون ..

• فضحكت حين رأت بيتها في الجنة !!

• فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها .. إنا نعذبها .. وهي تضحك ؟!

• فقبض الله روحها في الجنة .. رضي الله عنها » .

ماذا قال الامام العيني

في شرحه على صحيح البخاري قال :

« (بابُ قولِ الله تعالى :

﴿ وضَرَبَ اللهُ مَثَلا للذينَ آمَنُوا امراتَ فرعونَ ..
الى قوله .. وكانت منَ القانتينَ ﴾ ..

« قوله : (ضربَ اللهُ مَثَلاً) إلى آخره .. مثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم .. ولا تنقص شيئاً من ثوابهم وزلفاهم عند الله ..

« بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله .. مع كونها امرأة أعدى اعداء الله .. الناطق بالكلمة العظمى ..

« وأراد بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم .

« لما غلب موسى سحرة فرعون .. آمنت ..

« فلما تبين إيمانها لفرعون .. وثبتت عليه ..

« اوتد يديها .. ورجليها .. بأربعة اوتاد ..

« والقاها في الشمس ..

« وامر بصخرة عظيمة .. فتلقى عليها ..

« فلما اتوا بالصخرة ..

« قالت : ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ ..

« فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء ..

« وانتزع الله روحها .

« فالقيت الصخرة عليها .. وليس في جسدها روح ..

« فلم تجد الما من عذاب فرعون ..

« وآسية هي بنت مزاحم .. ابنة عم فرعون

« وكانت لها فراسة حين قالت

﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي ولكَ﴾ » ..

★

ماذا قال الامام الألوسي ؟!

في تفسيره لسورة التحريم قال :

« (إذْ قالتْ) : وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حال امرأة فرعون إذ قالت ..

« (ربِّ ابنِ لي عندَكَ) : اي قريباً من رحمتك .

« (بيْتا) : أعلى درجات المقربين .. لأن ما عند الله خير ..

« (ونجِّني من فرعونَ) : من نفس فرعون الخبيثة . وسلطانه الغشوم ..

« (وعملِهِ) : وخصوصاً من عمله .. وهو الكفر .. وعبادة غير الله تعالى .. والتعذيب بغير جرم .. إلى غير ذلك من القبائح . وخص بعضهم عمله بتعذيبه .. وعن ابن عباس انه الجماع ..

« (ونجِّني من القومِ الظالمينَ) : من اهل مصر ..

« والآية ظاهرة في انها كانت مؤمنة مصدقة بالبعث .. آمنت حين سمعت بتلقف العصا الإفك .. فعذّبها فرعون ..

« واخرج أبو يعلى .. والبيهقي .. بسند صحيح عن ابي هريرة : ان فرعون وتد لامرأته اربعة اوتاد .. في يديها ورجليها .. فكانت إذا تفرقوا عنها اظلتها الملائكة عليهم السلام .. فقالت :

﴿ رب ابن لى عندك بيتا في الجنة ﴾ ..

« فكشف لها عن بيتها في الجنة ..

« وفي رواية عبد بن حميد : أنه وتد لها اربعة اوتاد ..

واضجعها على ظهرها .. وجعل على صدرها رحى .. واستقبل بها عين الشمس ..

« فرفعت رأسها إلى السماء فقالت :

﴿ رب ابن لى – الى – الظالمين ﴾ ..

« ففرج الله تعالى عن بيتها في الجنة فرأته ..

« وقيل : امر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة .. فدعت الله تعالى ..

« فرقى بروحها ..

« فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيها .. »

المشهد الخالد ؟!

ها هو اللعين فرعون .. هائجا هياجا شديدا ..

ها هو يشهد حرق ماشطة ابنته .. واطفال الماشطة واحدا بعد الآخر ..

« وكان آخر أولادها صبيا صغيراً "

« فقال : اصبري يا أمّاه .. فإنك على الحقّ ..

« فالقيت في التنّور .. مع ولدها .. » !

ثم يقول ابن الأثير في روايته :

« وكانت آسية امرأة فرعون .. مؤمنة تكتم إيمانها ..

« فلما قُتلت الماشطة .. رأت آسية الملائكة تعرج بروحها ..

كشف الله عن بصيرتها ..

وكانت تنظر اليها وهي تعذّب ..

« فلما رأت الملائكة قوي إيمانها .. وازدادت يقيناً وتصديقاً لموسى ..

« فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون فأخبرها خبر الماشطة ..

« قالت له آسية : الويل لك !. ما أجرأك على الله !

« فقال لها : لعلك اعتراكِ الجنون الذي اعترى الماشطة ؟!

« فقالت : ما بي من جنون .. ولكني آمنت بالله تعالى .. ربي وربك ورب العالمين !

« فدعا فرعون أمها وقال لها : إن ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة .. فأقسم لتذوقن الموت .. أو لتكفرن بإله موسى !

« فخلت بها امها .. وأرادتها على موافقة فرعون ..

« فأبت وقالت أمّا ان اكفر بالله فلا والله !!!!

« فأمر فرعون حتى مُدّت بين يديه اربعة اوتاد ..

« وعُذّبت حتى ماتت .. » !!!

المنظر المقدس ؟!

ها هو فرعون يصيح هائجاً :

اخرجوها إلى ساحة القصر .. اطرحوها ارضاً .. شدوا يديها ورجليها بالأوتاد .. اجعلوها في الشمس الحارقة !

ها هم الزبانية يسارعون إلى الملكة ينتزعونها من القصر في غلظة شديدة !!

ها هم يجردونها من الملابس الملكيـة المقـدسة !

ويدفعونها دفعاً شديداً إلى ساحة القصر ..

ها هم يلقونها ارضاً على ظهرها ..

ها هي شمس الصيف الحارقة تصب لهبها على وجهـهـا !.

ها هم الزبانية يدقون الأوتاد الأربعـة .. ويشدون يدها اليمنى في وتد .. واليسرى في وتد .. ورجلها اليمنى في وتد .. واليسرى في وتد !!

وهـا هو فرعون يصيح بهم : اطلقوا عليهـــا الحيّـات

والثعابين !

ها هي الثعابين تنطلق اليها تنهش جسدها نهشا ..

شهدت الأرض والسماء .. ما لم تشهد من قبل ..

ملكة .. اعظم ملكة في عصرها ..

تجرد من كل شيء .. إلا ما يستر عورتها !!

طُرحت على ظهرها .. على ارض صلبة تلتهب ناراً من وهج الشمس ..

يداها الرقيقتان الجميلتان مشدودتان بالأوتاد !

ورجلاها الجميلتان .. مشدودتان بالأوتاد !

والثعابين تنهشها في كل مكان من جسدها الجميل !

واشتد وهجَ الشمس .. فتصببت عرَقا ..

فاشتد عطشها .. كان جوفها نار تاجّج ..

لا احد يجرؤ أن يغيثها بقطرة ماء !!

كلما يشوي الحرّ جسدها .. تململت تحاول ان تتقلب من شدة آلامها .. فلا تستطيع .. لأنّ يديها ورجليها قد شُدّت شدّاً وثيقا بالأوتاد .. بحيث لا تستطيع ان تتقلب !

فجعلت الملكة تتلوى فيعزّ عليها التلوّي !!

وجعلت تلهث عطشى .. وحيل بينها وبين قطرة ماء !

وها هو فرعون يصيح بزبانيته كالكلب المسعور :

« اجعلوا على صدرها رحى » !!

وجاءوا بالرحى .. وجعلوها على صدرها .. والرحى تتوقد من حرارة الشمس .. فجمعوا عليها ناراً على نار !

وسقطت قطرات ماء على شفتيها اليابستين .. فابتل لسانها الشريف من مسّ هذه القطرات ..

كانت هذه القطرات هي دموعها المقدسة .. سالت على خدّيها المقدستين .. وانحدرت إلى شفتيها !

وصاح فرعون القبيح فيهم :

« احضروا فوراً .. اضخم صخرة .. فألقوها عليها » !!

ها هم الزبانية يزحزحون حجراً عظيما .. ويحملونه في اتجاهها !

ها هي تنظر إلى السماء ..

ها هي تناديه .. سبحانه :

﴿ ربِّ ابنِ لي عندك ..

﴿ بيتاً في الجنة ..

﴿ ونجني من فرعون وعمله ..

﴿ ونجني من القوم الظالمين ﴾ !!!

ها هي الحُجُبُ تُكشَف !

ها هي الجنة تراها رأي العين !

ها هو قصرها في الجنة يتلألأ امام عينيهـا !

ها هي تضحك وتضحك .. لما ترى !

ها هي روحها المقدس .. يغادر جسدها الشريف .. ويصعد إلى السماء !

ها هي ابتسامة عريضة ترتسم على شفتيها ..

ها هو وجهها الشريف .. يتلألأ كالقمر ..

وها هو فرعون القبيح يصيح :

أَلْقُوا ..

ها هم الزبانية يرفعون الصخرة الكبرى .. ويلقونهـا فوق

وجهها وصدرها !

وبينما كانت الصخرة تهوي اليها كان الضحك يملأ شفتيها !!!

وكانت الروح قد غادرت جنبيها !!!

فجُنّ جنون فرعون مما يرى .. وجعل يعوي :

« ألا تعجبون من جنونها ؟!!

« انا نُعذّبها ..

« وهي تضحك . » !!!

شخصية ..

الملكة

آسية ؟!

إذا ..

ذُكرت امرأة في كتاب الله العظيم .. على أنها مَثَلاً يُضرب للذين آمنوا ..

عُلمَ هنـــالك .. أنها امرأة نادرة .. ونموذج فريد .. في نوع النساء !

﴿ وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ..

﴿ امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ..

﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ..

﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ..

﴿ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ !!!

وليس ذاك وحده ..

بل ويضعها كتاب الله العظيم .. جنبـــاً إلى جنب .. اعظم النساء على الاطلاق .. مريم ابنة عمران !

فما معنى ذلك ؟!

معناه أن آسية .. نالت شرَفين ..

شرف أنها وحدها بمفردها نموذج نادر في النساء ..

وشرف أنها بالنسبة إلى فضليات النساء .. تصعد إلى القمة .. حيث تتوازى مع أفضل نساء العالمين .. مريم ابنة عمران !

احدى اربع خالدات ؟!

« عن النبيّ .. ﷺ .. قال :

« حَسْبُكَ من نساءِ العالمينَ ..

« مريمُ ابنةُ عمرانَ ..

« وخديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ ..

« وفاطمةُ بنتُ محمّدٍ ..

« وآسيةُ امرأةُ فرعونَ » ..

سيدة نساء اهل الجنة ؟!

« قال رسول الله .. ﷺ :

« سيدة نساء أهل الجنة ..

« مريم بنت عمران ..

« ثم فاطمة ..

« ثم خديجة .

« ثم آسية امرأة فرعون » ..

اين مفتاح شخصيتها ؟!

مكنون في قوله سبحانه :

﴿ اذْ قالتْ :

﴿ ربِّ ابنِ لي ..

﴿ عندَكَ ..

﴿ بيتاً في الجنةِ ﴾ .. ؟!

أين المفتاح ؟!

فكِّرْ معي .. عميقاً ..

﴿ ابنِ لي عندَكَ ﴾ ..

إن المفتاح ها هنا يا صاحبي ..

معلوم أن دنيا المرأة فراشها .. بيتها ..

وها هي تُستخرج كُرْهاً من بيتها .. من فراشها .. الذي هو أحبّ شيء اليهــا ..

وتُجرد من ثيابها .. وتُلقى في ساحــة القصر ..

ويُحال بينها وبين بيتها ..

ها هي الملكة العظيمة .. تُخيَّر بين بيتها .. وبين إيمانها ..

وأيّ بيت بيتهـا ؟!

إنه قصور في كل مكان من مُلك فرعون زوجها ..

قصور ليس كمثلها قصور في الأرض ..

واستراحات ملكية فيها ما لا عين رأت ..

وفي كل قصر .. وفي كل استراحة .. من اسباب النعيم ما لا يُتصور ..

وكل قصر .. وكل استراحة .. هو بيت من بيوتها ..

لأنها سيدة القصر الأولى .. وجميلة القصر الآمرة ..

فإن اختارت أن تؤمن بإله موسى .. فقدت كل ذلك ..

وإن اختارت الايمان بفرعون .. فهي امرأته .. فهي الملكة المطاعة .. في كل بيت من بيوتها .. في كل قصر من قصورها !!

امتحان رهيب عجيب !

واختارت .. فلنعمَ الاختيار !

اختارت .. ان تتنازل بمحض اختيارها عن بيتها في الدنيا ..

أن تتنازل عن جميع بيوتها .. جميع قصورها .. عن جميع فرُشها ..

ولو شاءت لاستلقت على ما شاءت من فُرُشها .. وقالت لفرعون : هيْتَ لك !

ولكن قالت : اما ان اكفر بالله .. فلا والله !

وهي تعلم أنّ وراء ذلك عذاباً ليس كمثله عذاب ..

وموْتاً ليس كمثله موت !

ولكن كان قرارها .. كلا يا فرعون .. ثم كلا ..

إنّـه ربِّي !

وكان لسان حالها يقول : إن أخرجوني من بيوتي .. فإن الله يبني لي بيتاً عنده في الجنَّة !

وجيء بآسية .. من نعيمها ..

وأُلقيت في إهانة وذلة ارضاً ..

وجعلت تتذكر بيوتها في كل مكان من البلاد ..

وانها قد فقدت ذلك إلى الأبد ..

فنادت ربهــا :

﴿ ربّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنّةِ ﴾ ..

وتموجت أمواج كلماتها المقدسة إلى ربِّها ..

فرأت على الفور بيتها في الجنة .. قصرها في الجنة ..

بل قصورها التي لا تحصى في الجنــة ..

ماذا رأت سيدتي الجميلة ؟

« أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصالحين ما لا عينٌ رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خَطرَ على قلبِ بشر » !!!

رأت آسية أن مـا اعد الله لها .. في منزلتهـا من الجنـة .. أعلى وارقى واجمل واعجب .. من قصورها التي اخرجوها منها في الدنيـا ..

واين قصور فرعون مهما بلغت من قصور الجنة ؟!

فكيف تكون قصور الدرجات العُلى من الجنة .. حيث تنزل آسية اعلاها ؟!

هنالك ضحكت آسية .. وعلمت ان صفقتها رابحة !

والان .. ارأيت كيف ان شخصية آسية .. مكنونة في قول الله تعالى :

﴿ قالتْ ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنّةِ ﴾ !!!

إن في كل كلمة من كتاب الله العظيم .. اسرار .. لو فُتِحت .. لانهمرت منها بحار من فوقها بحار من الأنوار !

كانت تحتقر فرعون ؟!

أشد الوان المهانة .. ان يشعر الزوج ان زوجته تحتقره !

وكان فرعون يشعر رغم جبروته أن آسية تنظر اليه باحتقار شديد .. ولا ترغب ان تكون له زوجاً ..

وليس ذلك منها نحو فرعون لمطعن في رجولته .. فقد كان فحلاً ..

ولكن لاطلاعها ليل نهار .. على خسّته وإجرامه .. واساليب حُكمه الجهنمية ..

فرجل يستنعج شعباً باكمله .. وينـــاذي فيهم :

﴿ انا ربكم الأعــلى ﴾ ..

هو في نظرها اكبر مجرم في التاريخ ..

واي جريمة هي اكبر .. من جريمة رجل يجعل نفسه إلهــاً للملايين .. وهو لا يعدو ان يكون عَذِرة مُنتنة .. إذا فسا عافت رائحته الكلاب ؟

وهذا ال « هامان » ذلك الآخر الأفّــاك .. الذي استوزره فرعون .. واستعمله في تنفيذ ما يشاء من افانين العذاب ..

فهي تعيش في رعب من فرعون .. لأنها تحتقره ولا تحبه .. بينما الشعب يعبده ويطيعه !

وفي رُعب من هامان .. وما يدبره للايقاع بها .. متى حانت الفرصة ..

ولكنها زوجة فرعون .. فماذا تصنع إذا دعاها كما يدعو الزوج زوجته ؟.

وسالت نفسها : كيف اعاشر رجلاً كافراً .. مجرماً .. اثيماً ؟.

ولكنها لا تستطيع أن تمتنع منه .. وإلا اكتشف امرها !.

دوّامة رهيبة .. وأزمة نفسية عنيفة اشد العنف ..

وزُلزلت آسية زلزالاً رهيباً !.

كانت تنتظر ساعة الخلاص .. من هذا الأفّاك الخرّاص !

سجّل ذلك كله .. وما وراء ذلك كله .. كتاب الله العظيم .. حيث قال :

﴿ ونجّني من فرعونَ وعمَلهِ ..

﴿ ونجني منَ القوْمِ الظالمينَ ﴾ !!

بينما كانت تُحبُّ موسى اشد الحبِّ ؟!

في الوقت الذي كانت آسية تبغض فرعون اشد البغض ..
كانت تحبُّ موسى اشد الحبِّ !.

وهذا يُعتبر عند فرعون . الخيـانة العظمى ..

فكان عليها ان تخادع فرعون .. فلا تظهر له منها ما يثبت ذلك عليها .. وهذا من اشقّ الوان السلوك !

كانت لا تطيق أن يغيب عنها موسى لحظة ..

بينما كانت لا تطيق ان ترى فرعون لحظة !!

فعليها إذاً ان تتلوّن في معاملة فرعون .. حتى لا يأمر بسحقها !!

اما شدة بغضها لفرعون .. فمنبعه انهـا مؤمنـة .. والمؤمن لا يحب الكافر ابـداً ..

وأمّـا شدة حبّها لموسى .. فمنبعه :

﴿ والقيتُ عليكَ محبةً منّي ﴾ ..

فما رأته إلا احبته .. وما أحبته إلا ازدادت له حُبّاً ..

وفرعون يحس هذا منها .. ولكن ماذا يصنع بامرأة مجنونـة

بحُبٍّ رضيع ؟

لحظة الخلاص ؟!

وجاءت اللحظة التي كانت تنتظر ..

حين وقف موسى امام فرعون يناديه :

﴿ **يا فرعونُ ..**

﴿ **اني رسولٌ مِن ربِّ العالمين** ﴾ !!

فكانت هذه اللحظة .. فجراً انشق في الظلمات ..

ففرحت آسية .. وعلمت ان موسى الذي ربّته وليداً ..

قد بعثه الله منقذاً لها من ضياعها .. ومنقذاً لبني إسرائيل من الاستعباد ..

حتى كان يوم الزينة .. حيث انتصر موسى نصراً ساحقاً ماحقاً .. وخرَّ السحرة ساجدين .. قالوا آمنَّا بربِّ العالمين .. ربِّ موسى وهارون ..

وعزمت من تلك اللحظة .. أن تعلن إيمانها .. مهما كلفها من تضحيات !.

حرق الماشطة زاد آسية ايماناً ؟!

وعاد اللعين إلى قصره هائجاً مسعوراً .. بعد أن أمر بقتل آلاف السحرة صلْبـــاً .. وقد عزم على إبادة كل من يؤمن بإله موسى .. مهما كان وضعه ..

وكان اول ضحاياه .. ان أمر بحرق مـاشطة ابنتـه .. وحرق صغارها .. في تنور من نحـــاس !

وبعد ان فرغ القبيح من جريمته جاء مختالاً يخبر آسية بما صنع !

فصفعته آسية صفعة شديدة .. تشوي وجهه القبيح .. حين ثارت في وجهه :

« الويل لك !

« ما أجرأك على الله » ..

فقال اللعين لها : لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة ؟!

فصاحت آسية في وجهه :

« ما بي من جنون ..

« ولكني آمنت بالله تعالى ..

« ربي وربك .. ورب العالمين » !!

ها هنا أعلنت آسية إيمانها .. والقت في وجهه ما زلزله زلزالاً شديداً !

عظمة اللحظة التي جهرت فيها بايمانها ؟

اقول : الايمان درجات لا تُحصى ..

والمؤمنون والمؤمنات .. يتفاوتون في منازلهم تفاوتاً لا يُحصى ..

فمنهم من يوازي إيمانه ايمان الأمة كلها .. كابي بكر .. رضي الله عنه .. ومنهم دون ذلك إلى ما لا يتنـاهى ..

هم درجات .. بعضها فوق بعض ..

وحقائق القلوب .. لا يعلمها إلا علاّم الغيوب ..

إلا أن هناك مؤشرات يستدل بها على عظم درجة مؤمن من المؤمنين .. أو مؤمنة من المؤمنات ..

فمن آمن حيث التضحية اشد .. اعظم درجة ممن آمن حيث لا تضحية ولا خوف ولا تعذيب ..

ومن هنا كان السابقون الأولون من الصحابة رضي الله عنهم ..

أفضل عند الله .. ممن آمن بعد الفتح والهجرة ..

لأن أولئك آمنوا إيمانـــاً مجرداً من الدنيا .. يؤدي بهم إلى الوان من العذاب ..

اما الذين آمنوا بعد استقرار الأمور .. فإنهم لم يُقدّموا مثل ما قدّم السابقون .

ومؤشر آخر يِستدل به على عِظم درجة المؤمن او المؤمنة ..

وذلك هو الظرف الذي أعلن فيه المؤمن إيمانه .. ولم يبال بما يلقى من عـذاب في سبيل الله ..

ومن امثلة ذلك .. حين اعلن الفاروق إيمانه .. على مـلأ من قريش وساداتها .. ووقف يتحداهم جميعاً !

وحين اعلن سيد الشهداء .. حمزة .. إيمـانه .. بعد أن شجّ رأس عدو الله .. أبي جهل !

ومن أمثلة ذلك .. في المؤمنـــات .. آسية ..

حين اختارت اشق الظروف .. واخطرهـا على حيـاتها ..

واعلنت فيها إيمانها .. في وجه أعدى أعداء الله في الأرض .. فرعون القبيح !

كان يمكنها ان تستاخر قليلاً باعلان إيمانها .. حتى يهدأ الأسد الهائج .. مما لقي في يوم الزينة من هزيمة وهوان ..

ولكن وقفت في وجهه .. والقت بنفسها في فم الأسد ..

وهي تعلم تماماً انها مقتولة لا محالة ..

وانها معذَّبة حتماً اشد العذاب ..

فإن فرعون لا يقبل بحال من الأحوال ان يُضرب من اقرب الناس اليه .. من زوجته ..

فلا بد أن يذيقها عذاباً لم يذقه احد من العالمين ..

وإلا لتتابع من ورائها نساء القصور .. يؤمن باله موسى .. تبعاً لإيمان الملكة !

وسيقت الملكة كما يُساق العبيد الأسارى ..

وسُلسلت يداها ورجلاها .. كما يُصنع باكابر المجرمين ..

وحرِّم عليها قطرة ماء .. لتموت عطشاً .. قبل ان تموت قتلاً !

ونادى فرعون في زبانيته :

انظروا اعظم صخرة .. فالقوها عليها .. تهشمها تهشيما .. هذه الخائنة الكبرى !!

وآسية .. وحدها ..

امرأة .. وحدها ..

قد اجتمع عليها مكر الرجال .. وخسّة الأوغـــاد .. ودناءة الزبانية الغلاظ !

وحدَها ؟!

نعم .. هذا مقامها !!

يُصَبُّ عليها العذاب صَبًّا ..

ولكن في الله .. تُعذَّب !!

وتُجرَّدُ من دنياها ..

ولكن في الله تضحياتها !!

إنه مَقامها !!

فما هو مَقام آسية ؟!

مقام ..

آسية ؟ !

في الحديث :

« سيّدُ الشهداءِ .. حمزةُ بنُ عبدِ المطّلب .. »

ويمكن أن نستنبط من مجموع الأحاديث الشريفة الواردة في فضل الكاملات من النساء ..

إن سيدة الشهيدات .. آسية بنت مزاحم ..

لماذا ؟.

لانفرادها بخصيصة لم تكن للكاملات الأربع .. مريم بنت عمران .. وخديجة بنت خويلد .. وفاطمة بنت محمد .. وآسية بنت مزاحم ..

هذه الخصيصة هي استشهادها في أشق ظروف الشهادة في سبيل الله ..

فمريم عليها السلام .. لم تستشهد ..

وخديجة رضي الله عنها .. لم تستشهد ..

وفاطمة رضي الله عنها .. لم تستشهد ..

وإنما التي خصّها الله بمزّية الشهادة في سبيله من هاتيك الأربع الفضليات .. إنما هي آسية ..

وكما يقولون : المزية لا تنافي الأفضلية ..

فكونها اختصت بالشهادة من بينهن .. هذه مزية لها .. ولكن ليست دليلاً على انها تفضلهن ..

اقول : فاذا كان افضل نساء العالمين .. هنّ مريم .. ثم فاطمة .. ثم خديجة .. ثم آسية ..

وإذا كان كلٌ منهن .. تظفر بلقب سيدة النساء في الدنيا والآخرة ..

فآسية بذلك .. سيدة النساء ..

وإذا كانت آسية هي الوحيدة من بين الأربع التي نالت مرتبة الشهادة ..

فانها بذلك تعتبر سيدة الشهيدات ، في الدنيا والآخرة .

والحديث يمكن ان يستنبط منه هذا :

« سيّدُ الشهداءِ حمزةُ بنُ عبدِ المطّلبِ ..

« ورجلٌ قامَ الى إمامٍ جائرٍ ..

« فأمرَهُ ونهاهُ فقتلهُ . » !!

اعتبرَ الحديثُ مَن قام إلى إمام ظالم فأمره بالخير ونهاه عن الشر .. فقتله ذلك الحاكم لموقفه ذاك .. اعتبره سيد الشهداء .

وكل ذلك متحقق في مقام آسية بنت مزاحم ..

فهي قد قامت إلى إمام جائر ..

بل أشد الحكام ظلماً وإجراماً ..

واشدهم عذاباً وتعذيباً ..

وهي قد أمرته ونهته عن ظلمه وإجرامه ..

وهو قد قتلها شرّ قتلة ..

فاستحقت عن جدارة .. لقب « سيد الشهداء » ..

لأنها استوفت شروط اللقب ظاهراً وباطناً ..

بل أوفت بالشروط كلها وزادت عليها ..

زادت عليها أنها امرأة .. فيها صفات جنسها .. من الرقة

والحنـــان ..

وليست رجلاً .. فيه صفات جنسه التي تؤهله للصراع .. من الخشونة والشراسة والغلظة ..

ورغم أنوثتها التي تدعوها إلى السلام والاستسلام ..

إلا أنها تسامت فوق تكوينها ..

وتصدَّت لأعتى الرجال اجراماً ..

وأي امرأة في التــاريخ .. لقيت ما لقيت آسية ؟!

اعظم ملكة في عصرها .. قالت للمُلك .. سُحقاً سُحقا !!

زوجة لاعظم زوج في عصرها .. فرعون الذي تجري الانهار من تحته .. قالت لزوجها .. بُعداً بُعداً !!

راودها فرعون أن تكفر باله موسى .. ولو بلسانها .. فقالت لا واللهِ !!

وساقوها إلى عذابهـــا .. فأُخرجت من جناتٍ وعيون .. وزروعٍ ومَقامٍ كريم ..

الى جهنم التعذيب !.

فما ضعُفَت .. وما استكانت .. وما وَهَنَت .. وما لانت !.

فأين في النساء مِثل آسية ؟.

إنها سيدة النساء !.

انها سيدة الشهداء !.

عليهـــا السلام ؟.

— تم —

فهرس

صفحة

صفحة